بكل هدوء مرتبة

دار خيال للنشر والترجمة ©
تجزئة 53 قطعة. رقم 27. بليمور
برج بوعريريج – الجزائر-
0668779826
Khayaleditions@gmail.com
ردمك :978-9931-06-312-4
الإيداع القانوني : السداسي الأول 2021.

رياض رمضان بن وادن

بكل هدوء مرتبة

مقالات

مقدمة

ربما أكبر إشكالية نعاني منها نحن الجزائريون هي إشكالية الاتصال والتواصل فيما بيننا، وعدم إتقاننا لهذا الفن الهام في حياة الإنسانية جمعاء، زاد ذلك من هوة التقارب في أي طرحٍ حتى ولو كان بسيطا، وعقّد من مهمة وضع حلول لأي مشكلة حتى ولو كانت تافهة. فأصبحنا عوض أن نتحدث لبعضنا البعض نصرخ، وعوض أن نتبادل الأفكار نشتم، وعوض أن نحاول فهم ما يريد الآخر قوله نتهم ونشكك، وعوض أن نجد لكل مشكلة حلولا عديدة أصبحنا نضع لكل حل مشاكل كثيرة... فتنافرت الأرواح وتباغضت القلوب وخارت القوى وأصبحنا مشتتين تائهين لا ندري إلى أين تسير بنا الأقدار!!.

ومنذ اليوم الأول الذي عزمت فيه أن أشق طريقي في عالم الكتابة، كانت قناعتي كبيرة بأن الطريق الجميل لفعل ذلك هو الطريق الهادئ حتى ولو كان طويلا، أن أحدث الآخر بهدوء وأستمع منه بتركيز، أن لا أنحاز لأي طرف، فلا أحد يملك الحقيقة المطلقة إلاّ الله تعالى، وأن الأفكار القوية ليست الخادشة ولا الجارحة ولا المتطرفة ولا تلك التي تساند طرفا دون آخر بسبب عصبية نتنة ولا التي تدعوا للقبيلة والعشيرة والجهة أو إلى أي سلطة مهما كان مصدرها أو قوة تأثيرها... وكم هو صعب في هذا الزمن

أن يختار أي كاتب مثل هذه المنطقة، منطقة قد تبدو للبعض بأنها نوع من أنواع النفاق، أو أنها تخبط بين الحق والباطل، فكثيرون هم من يعتقدون بأن الخلاف بيننا نحن الجزائريين هو خلاف ديني، بين مؤمن وكافر بين وطني وغير وطني، بين محب أكثر للجزائر ومحب أقل لها... والحقيقة أن الصراع هو صراع ضد فساد عام وشامل، فساد يبدأ من الفرد والأسرة إلى المجتمع والدولة، صراع ضد أنفسنا وما نحمل من أفكار قاتلة من عادات سلبية ومفاهيم خاطئة، صراع مع قوانين غائبة وعدالة بمفهومها الشامل مغيبة.

جاء عمود "بكل هدوء" الأسبوعي على جريدة الحوار الجزائرية الذي بدأته قبل ست سنوات وما يزال متواصلا لغاية هذه اللحظة، من أجل نشر هذا السلوك الحضاري، سلوك بناء الأفكار والتأسيس لأرضية توافق والتذكير بأن ما يجب أن يجمعنا هو الجزائر، هو بناء وطن قوي، هو الوصول إلى رفاهية ينعم بها الجميع، لكي نعلم جميعا وندرك ونوقن بأن الجزائر بما حباها الله من خيرات وقدرات وإمكانات هي أرض جذب وليست أرض طرد، وأن الجزائري مستقبله الحقيقي على أرضها وليس على أي أرض أخرى...

ومن أجل تحقيق كل هذا، مدعوون للحديث، لإثارة نقاش، لحرية الكلمة والفكرة، للمشاركة، فهذا هو الطريق الصحيح، ولكن فقط، لنفعل ذلك.. بكل هدوء.

الجمعة 2021/02/12
ستوكهولم (السويد)

ازدهار الأوطان من نجاح الأفراد !!

نجاح الأبناء في دراستهم يزيد أولياءهم رغبة في العيش، أملا في الحياة، فخرًا، فرحة وسرورًا.. وكذلك تفعل الإنجازات الكبرى التي تحققها قلة في الوطن مع عامة الشعب، ولنا في ذلك مثال كرة القدم.

لا أعتقد بأنه يوم فاز منتخبنا الوطني لكرة القدم بكأس أمم إفريقيا الأخيرة، وفوزه الأخير داخل وخارج الوطن في نفس التصفيات، أن هناك مواطن جزائري داخل أو خارج الوطن لم يسعد ولم يفرح ولم يشعر بالفخر بتلك الانتصارات، فقد كانت البهجة عارمة في كل جهات الوطن.

ما ذكرته هو ذلك النجاح الذي يحدث على مستوى العائلة، وما فعلته وتفعله كرة القدم، فما بالنا لو كان النجاح على مستويات عديدة، اقتصادية وعلمية وثقافية وتنموية وسياسية... فحتما فإن حالتنا النفسية ستكون أفضل، ولن تسعنا أي سعادة، سنشعر أكثر بالأمن والاطمئنان، ستتقوى وتشتد روابطنا وتكون لحياتنا مَعنى وأهدافاً أسمى.

ولهذا، علينا أن نرفع التحدي، أن لا نقنط ولا نفشل أن نسعى بكل قوة وثقة لحل المشاكل السياسية التي نعيش، ونحقق نجاحا حقيقيا آخر، يدفعنا بعد ذلك حتمًا إلى نجاحات أخرى، يفرح عندها الجزائري

بجزائريته، ونعيد الثقة، ونرفع التحدي لتحقيق الأفضل في مستقبل الأيام.

ما أقوله ليس بنثر، ولا هو بشعر.. ما أقوله هي أفكار ومشاعر مرت عليها دول كانت تلمس الحضيض في كل المجالات، لكنها فهمت، فثارت، فحققت الهدف، وهي الآن في مصاف الدول المتقدمة وشعوبها من أسعد الشعوب على وجه هذه البسيطة.

إن الشعور بالنجاح يؤدي للنجاح، والشعور بالهزيمة يؤدي إلى هزائم وإخفاقات، ولهذا لنا الخيار، أن ننهزم أو أن نخلق النجاح بأقوالنا وأفعالنا، فالفرص ما تزال أمامنا، فقط كثير من العقل والحكمة، فلا يخذل شعب احتكم إليهما.

أسئلة وجيهة للحراك

يبدو لي بأن موجة الحراك التي نعيشها في هذه الأشهر، ومنذ انطلاقتها كانت أكبر من التوقعات، وأكبر من الأفراد، ومن الأحزاب والنخب، أكبر من الجميع، فهي تشبه تعريف الظاهرة الاجتماعية من وجهة نظر عالم الاجتماع الفرنسي إميل دور كايم، حيث عرّف الظاهرة الاجتماعية بأنها من صنع الأفراد، ومع الوقت تصبح أكبر منهم، يصبحون -أي الأفراد- خاضعين لها، إرادتهم من إرادتها، تُسيّرهم كما تشاء.

فالحراك منذ انطلاقته، قد فرض منطقه على الجميع، لا يعترف بأحد، أصبح الكل يخافه، لا يريد أحد أن يبدي رأيا يخالف رأيه، الكل يسير خلف الحراك الأحزاب المعارضة والموالاة والشخصيات السياسية، لا أحد استطاع أن يتقدم صفوفه، أن يبلور أفكاره، أن يرتبها حسب أولوياتها، من أجل الإسراع للخروج من الأزمة!!

وهذا الوضع يعبر في حقيقة الأمر عن إشكالية كبيرة وعن أزمة سياسية عميقة، وكلما طال الوقت انحصرت الحلول وخسر الجميع وتذهب التضحيات هباء منثورا.

ومن أهم الأسئلة التي يجب أن يجيب عنها الحراك: ماذا لو تُصّر السلطة على انتخابات الرابع من جويلية خاصة وأن الأسبوع القادم هو آخر أجل لاستخراج أوراق

طلب الترشح؟ وماذا لو تُصّر على بقاء الباءات؟ أي سيناريوهات سنعيش بداية من الخامس من جويلية؟ هل يعي الحراك ثقل المسؤولية -أمنية وسياسية- التي تحملها المؤسسة العسكرية؟ وهل شعار "يرحلو ڨاع" هو الشعار الحقيقي للمرحلة؟.. الخ.

هذه أسئلة وأسئلة أخرى عديدة يجب أن تطرح ولابد للحراك أن يتمعن ويحاول الإجابة عنها بهدوء ومسؤولية خاصة وهو مقبل على الجمعة الثالثة عشر.

في اعتقادي، الحراك لابد أن يبقى حراكا، له من يمثله ويتحدث باسمه، للإسراع في وضع حلول تخرجنا من عنق الزجاجة، أما إذا بقي على هذه الحالة فهو قنبلة موقوتة حرب غير معلنة، ظاهرة غير صحية، سيكون -لا قدر الله- ضرره أكبر من نفعه، خاصة ومؤشرات ذلك تتزايد وتتطور جمعة بعد جمعة.

أي سلطة نريد؟!

سؤال أصبح ملّحًا، أي سلطة نريد أن نحقق، خاصة بعد تهليل الكثير بعودة السيد عبد العزيز بلخادم بعد غياب دام خمس سنوات؟ وأي منصب سيقوم عليه الرجل؟ هل سيكتفي فقط بأن يكون على رأس حزب الأفلان، أم أن أصحاب القرار سيرفعونه إلى منصب مرموق جدا، لا يكون إلاّ للعزيزين؟!

يُقسّم عالم الاجتماع (ماكس فيبر) السلطة إلى ثلاثة أقسام، سلطة تقليدية، وسلطة كاريزمية، وسلطة عاقلة ومن خلال هذا التقسيم يمكننا أن نقول بأن السلطة التي يريدها العقل الجمعي في الجزائر وهذا من خلال ما نقرأه وما نسمعه هي سلطة الكاريزما، فالجزائري يبحث دائما عن القائد المبهر، الذي عادة يُصوّر في أفلام السينما أنه يمتطي فرسا أبيضا، يحمل سيفا بتّارا من أجل إنقاذ شعبه، وتحريره من العدو اللدود.. هكذا ننظر وننتظر من يتولى أمرنا، لكي نتقدم ونتطور.!!

والحقيقة أن هذه النظرة مثلما تدعمها أحزاب السلطة والمنطوين تحت لوائها، بأن المنقذ هو رجل واحد، سيعمل ليل نهار، سيسهر على شؤوننا، سيضحي بوقته وجهده من أجل مصلحتنا.. تفعل كذلك أحزاب المعارضة من حيث تدري أو لا تدري.

أحزاب المعارضة تصور لنا دائما بأن الرجل الذي سينقذ الجزائريين لابد أن يكون شبيها بطيب رجب أردوغان رئيس تركيا، أو بمحمد مهاتير رئيس وزراء ماليزيا وغيرهما من الشخصيات البارزة صاحبة كاريزما التي كانت لها بصمة في تحسين أوضاع شعوبها، لكن يجهل أنصار هذا الطرح، بأن هؤلاء الشخصيات كانت هناك مؤسسات تدعمهم، وأنهم خاضوا تجارب قاسية بدأوها من الدرجات السفلى في ممارسة السياسة والتسيير وأنهم لم يأتوا إلى شعوبهم يمتطون جيادا بيضاء، يحملون بأيديهم عصا التغيير والتطور والازدهار، وإنما خرجوا من عمق المجتمع، من همومه وأنين شقائه.

إن الجزائر في مرحلتها هذه، هي في حاجة في حقيقة الأمر إلى سلطة عاقلة، وأقصد بالسلطة العاقلة، سلطة المؤسسات القوية، سلطة القانون، سلطة احترام مؤسسات الجمهورية، سلطة الدولة، سلطة القرار المسؤول، سلطة أن يكون لها الرجل المناسب في المكان المناسب مثلما يقول (تايلور)، سلطة الكفاءات والسياسة البراغماتية التي تفكر في مصلحة الجزائر والجزائريين، إلى سلطة وحكمة: الجزائر حررها الجميع، فيبنيها الجميع مثلما قال ذات يوم المرحوم الشيخ "المحفوظ" النحناح رحمة الله عليه، إلى سلطة وقرار الجزائر نتشارك جميعا لرفعها بين الأمم، إلى سلطة عاقلة، لا تقليدية، ولا كاريزمية، إلى سلطة واعية بمصير البلاد والعباد.

البوحمرون السياسي!!

عندما تطالعنا الصحف اليومية بإحصائيات رسمية تقول: بأنه قد سجلت أكثر من ثلاثة آلاف حالة مرض بداء البوحمرون، وأنه قد مسّ حوالي ثلاث عشرة ولاية ستة من المواطنين قد توفوا بسببه، أشعر بالخوف والارتباك، وأبدأ بطرحِ العديد من الأسئلة على رأسها: إلى أين نحن ذاهبون؟!

كان من المفترض أن لا حديث عن هذا الداء، وعن أشياء أخرى كثيرة في هذا الزمن، في القرن الواحد والعشرين، بعد أزيد من نصف قرن من الاستقلال، بعد بناء المئات من الجامعات، وتكوين الآلاف من طلبة الطب في كل التخصصات، بعد كل هذا الوعي المنتشر، والنشاط الكثيف والعدد المعتبر من جمعيات المجتمع المدني!!

لكن عندما نمعن النظر وندقق جيدا، نحلل أوضاعنا بكل صدق ومصداقية، نجد بأن جلّ ما نعيشه من مشاكل، من تخلف وتدهور في العديد من القطاعات. عندما نريد أن نبحث عن سبب ظهور البوحمرون المرضي، لوجدنا بكل سهولة وبساطة بأن السبب الرئيسي هو "البوحمرون السياسي."

يا قومنا، وَيَا أهلنا في الجزائر، يا أيها المسؤولون، لتكن قلوبكم على قلب رجل واحد، محب للوطن، عاشق له متفانيا في خدمته، ارفعوا من هم أهل للمسؤولية

لمناصبهم الحقيقية، افتحوا اللعبة السياسية حتى نصل إلى منتَخَبين يمثلون حقيقة الشعب، حاربوا دون هوادة ولا رحمة الفساد بكل أنواعه، أعطوا الفرص للشباب من أجل العمل والإبداع، خططوا لمستقبلكم، وسوف ترون كيف في بضع سنين سنتجاوز وننتصر على كل التحديات، اقضوا إذن على "البوحمرون السياسي" وستنتهي معه كل "البوحمرونات" الأخرى.

التغيير الآمن

مفرح جدا ما كتبه معظم النشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي، فالكل يشترك في نقطة جد مهمة وهي أنّ الوطن خط أحمر، ولو طلب منا أن نثبت تطور وعي الجزائريين وتعلمهم من تجاربهم السابقة لكفتنا هذه النقطة، وهي أن معظمنا لا يريد دمار الوطن ولا فتنة أخرى هالكة حارقة بين أبناء الوطن.

ورغم هذا فلا يحق لنا أن ننسى العمل من أجل التغيير، أو أن نتوقف عن ممارسة فعل التغيير أو عن التدافع الإيجابي من أجل مكانة حسنة راقية للشعب والوطن، ولهذا وجب أن نطرح على أنفسنا هذا السؤال: ماهو أأمن طريق لتحقيق تغيير سلس، نافع، إيجابي وسريع؟!.

ولكي يتحقق لنا هذا أرى بأنه يجب أن تتحقق عناصر ثلاث؛ إرادة السلطة، إرادة الشعب، وإرادة الطبقة المثقفة أو ما يسمى بالفاعلين الاجتماعيين والسياسيين.

وتتحقق إرادة السلطة في التغيير إذا فتحت أبواب الحوار، واستمعت إلى الإختصاصيين ممن يخالفونها المواقف ووجهات النظر، وعقدت النية وأحسنت الفعل وكانت لها إرادة سياسية لا تشوبها شائبة وقناعة تامة لفتح الطريق الذي يؤدي إلى التغيير وذلك بتحقيق عناصره.

أما إرادة الشعب فتتحقق عن طريق عودته إلى العمل السياسي والعمل الجمعوي، وقناعته بأنه هو المسؤول عن مستقبله وأن زمام الأمور يجب أن تؤخذ بيده، وأن مشاركته في النضال السياسي والانتخابي حق وواجب وليس عملا تطوعيا زائدا يقوم به أو يتركه متى شاء وأحب.

أما الإرادة الثالثة فهي إرادة المثقف، ولكي تتحقق هذه الإرادة وجب عليه أن يتوقف عن الخوض في الحروب الوهمية التي يتخيل، وعليه بسرعة وشجاعة أن يعيد النظر ويحدد موقفه من هذه النقاط الثلاث: خطابه الذي ما زال يترنح بين خطاب الأصالة أو المعاصرة، وأن يخرج من إشكالية الموالاة والمعارضة في تعامله مع السلطة وفي مواقفه بل وحتى في تفكيره، وأن يقلل من خطابه النخبوي المبهم المتعالي ويحدث الشعب باللغة البسيطة التي يفهمها، بل والمطلوب أكثر من هذا أن يجالس ويخالط عامة الشعب ويكون معهم في كل جوانب حياتهم.

بهذه النقاط الثلاث يمكننا أن نسلك الطريق الآمن إلى التغيير المنشود، دون الوقوع في هرج ومرج ودمار للذات وأي خلل في هذه العناصر الثلاث سنقع في فتنة قد تعصف بِنَا جميعا، سلطة وشعبا ونخبا.

التغيير وقانون الجذب

بداية لا أريد أن أثير نقاشا حول ما اصطلح عليه بقانون الجذب، فلا المقام ولا الوقت يسمحان بذلك ولكن اخترت أن أتناول فكرة قانون الجذب من جانب التفاؤل بالخير، والأمل في غد أحسن، والإيمان بمستقبل زاهر، من ناحية الثقة بالنفس والدعم المعنوي.. الخ سواء على المستوى الفردي أو الجماعي أو المجتمعي.

وأهم ما يمكن الإشارة إليه هو ما أصبحنا نفعله من جلد للذات وما نجذبه لأنفسنا من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، فلا حديث ولا تركيز لنا إلا على السلبيات والنقائص، والمشاكل، والجانب الأسود من حياتنا وعلاقاتنا، الكل ينتقد ويسفّه، الكل مأزوم ومنكسر الكل فاقد للأمل ومحطم، الكل يعاني ومتذمر، الكل غير راضٍ عن كل شيء، وقد أشْرِبْنَا هذه العادات حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من ثقافتنا ومن طريقة تفكيرنا فأثرت بذلك سلبا على تصرفاتنا وأفعالنا وعطائنا، وبهذا أصبحنا أبطالا في جذب التعاسة لأنفسنا والهزائم لوطننا، نُخرّب بيوتنا بأيدينا دون شعور منا.

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "لا تمارضوا فتمرضوا" والحديث هنا واضح في نهيه عن التمارض حتى لا نجذب لأنفسنا المرض حقيقة، والحكمة الشهيرة تقول: تفاءلوا خيرا تجدوه". وإذا تمعنا في الأحاديث النبوية

والآيات القرآنية لوجدنا معظمها تحثنا عن الأمل والرجاء والعمل والسعي وحسن الظن بالله وبالناس، والشكر لله وللناس، على الكلمة الطيبة والقصد في الكلام والطمع في عطاء الله غير المتناهي.

لقد أصبحت كتاباتنا في الوسائط الاجتماعية وأحاديثنا في المقاهي، ومناقشاتنا في اجتماعاتنا العامة والخاصة أغلبها عبارة عن سموم قاتلة، ترسمها أقلامنا وتنفثها أفواهنا دون وعي منا، وهذا حتما سيعود علينا بالضرر كأفراد وعلى علاقتنا العامة والخاصة كجماعات وعلى نضالنا في أحزابنا وجمعياتنا وبالتالي مزيدا من التراجع والتخلف على كل الأصعدة والمستويات.

فلابد إذن من الأمل، أن نجعله الجزء الأكبر الذي يملأ تفكيرنا، ولابد من الثقة في غد أحسن، أن تكون هي المحرك ومنبع حواسنا ومشاعرنا، أن نؤمن إيمانًا قاطعًا بالنجاح، والأهم من هذا أن نفكر جيدا قبل أن نكتب وقبل أن نتكلم وفي هذا مسؤولية المثقفين عظيمة فالجذب حق، ولن نزرع إلاّ ما نحصد، ولا يوجد أتعس من أولئك الذين قال الله تعالى فيهم: "...يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ". فهل نحن معتبرون.. نعيد النظر في ما نكتب ونقول قبل فوات الأوان؟!

الحراك والرأسمال القانوني!!

تحدث المفكر الفرنسي بيار بورديو على أربعة أشكال رئيسية من الرأسمال يكتسبها الفرد عن طريق التنشئة الاجتماعية والتعليم: الرأسمال الثقافي، والرأسمال الاجتماعي، والرأسمال الرمزي، والرأسمال الثقافي، وفي هذا الحراك الذي يعيشه الشارع الجزائري بمختلف الطبقات المشكلة له، ربما يمكننا أن نتحدث اليوم عن الرأسمال القانوني!!.

أثناء الأزمة التي عاشتها الجزائر في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، كانت النقاشات التي تطرح بين الجزائريين، وحتى بين النخب منهم، نقاشات تدور معظمها في جانبها الأيديولوجي، سواء في المساجد أو المقاهي أو في الشارع، أو حتى في تلك الحصص السياسية التلفزيونية التي كنا نتابعها باهتمام، كل شخص يطرح وجهة نظره حسب مرجعيته، وتعليمه والميولات الثقافية أو الأيديولوجية التي تأثر بها، أو كان له نصيب من أن تكون تنشئته الأولى، لكن في هذه المرحلة من هذا العصر الذي نعيش، فالأمر مختلف نوعا ما، فقد برز أثناء هذا الحراك رأسمال قانوني بشيء لافت للنظر.

الجزائري اليوم وهو يمارس حراكه من أجل التغيير أصبح يتحدث بمعارف ويتميز بثقافة ربما لم تكن لدى الكثيرين من الجيل الماضي، الجزائري اليوم أصبح على

علم بمواد الدستور وما تقول به المادة: 102 و107 و110.. وإلى آخره من المواد، وهذا في رأيي الشخصي شيء إيجابي ونقلة نوعية في تطور الوعي العام، خاصة وأن معظم الجزائريين غير المتخصصين لم يكونوا يعلمون من الدستور غير مادته الثانية: الإسلام دين الدولة.

وأكيد أن هذا التطور في الطرح والوعي نتيجة عوامل عديدة، ربما الإدراك والقناعة التامة بأن المرجعية الأولى لحل المشاكل السياسية هي بالعودة إلى الدستور وتطبيق واحترام نصوصه، كما يمكن أن نرجع سبب ذلك إلى توفر الشبكة العنكبوتية بشكل واسع، سهلت على كل باحث عن معلومة أن يصل إليها في أي مكان بمجرد لمسة خفيفة على الهاتف النقال الذي بين يديه، وتخرج من الجامعات أعداد كبيرة من طلبة الحقوق والقانون.

وهذا النوع من الرأسمال إن كان بإمكاننا أن نقول ذلك، هو مفيد لنا جميعا، يدفعنا لكي نعرف حقوقنا وواجباتنا، لكي يكون اختلافنا له ضوابط وله قوانين يجب العودة إليها. كما أن هذا النوع من الثقافة يجنبنا تلاعب المتلاعبين من السياسيين، يضع كل واحد في مكانه، الكل مطالب باحترام مواد الدستور، الرئيس والمرؤوس والوزير والإداري والمواطن العادي، ولا اجتهاد أو حركة منهم تخص الشأن العام إلاّ بالعودة إليه، وما دون ذلك فهي الفوضى العارمة أو قانون الغاب مثل ما يقال.

الحريات ودرس الطيب الوطني!!

مرت علينا البارحة ذكرى عزيزة على كل أحرار العالم وهي استشهاد الزعيم التاريخي محمد بوضياف رحمه الله.. هذا الزعيم الذي رفض خلال كل مراحل حياته المتعددة كل التحالفات التي اقترحت عليه من أجل الوصول إلى السلطة بالطرق المشبوهة وخاصة مع الزعيم هواري بومدين رحمه الله من أجل السيطرة على السلطة أو بالأحرى من أجل أن يكون حصان طروادة لوصول بومدين إلى السلطة مثلما حصل مع الزعيم أحمد بن بلة رحمه الله!!.

بوضياف سيكتب له التاريخ بأنه عاش للجزائر وناضل وكافح من أجلها.. عاش بعد الاستقلال في غربته بمبادئ الزعماء الكبار فلم يسئ إليها لا بكلمة ولا بإشارة ويوم نادته طلبا للنجدة والحماية لبى نداء الواجب بشرف ورجولة رغم الأجواء المسمومة وتعدد شباك المصطادين في المياه العكرة.. فكانت له الشهادة على أرضها الطيبة.. ارتقت روحه إلى عليّين وهي تلعن فعل الغادرين بالرجال وبالوطن.

وكم تمنت روحه الطاهرة أن تكون آخر روح تزهق من أجل الحريات والديمقراطية واستقرار الوطن.. كانت تريد أن تكون الدرس الكبير الذي يجب أن يتعلم منه الجميع من أجل العودة إلى طريق العقل والرشاد.. لكن الملاحظ

بعد مرور ما يقارب الربع قرن من استشهاده وبعد أزيد من نصف قرن من فتنة جيش التحرير الوطني ومجاهدوا الداخل والخارج وفتنة السلطة بين الزعماء التاريخيين وما حدث بينهم يمكن الجزم بأننا لم نتعلم شيئا وأن الجزائر حقا أكبر من الجميع سلطة وشعبا.

إن الأحداث التي عرفتها الجزائر في مسيرتها منذ الاستقلال إلى غاية استشهاد الزعيم بوضياف رحمه الله وما ترتب عن ذلك من عشرية حمراء راح ضحيتها خيرة أبناء الوطن من مختلف الشرائح والاتجاهات يوجب علينا أن نتوقف عن الاستهتار واللعب بمستقبلها ومستقبل الأجيال والحفاظ على مكتسبات ونضالات الأحرار والذهاب بثقة نحو نجاحات أخرى ومراتب متقدمة في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

إنه من العيب والعار بعد كل ماحدث وبعد كل الأرواح التي أزهقت تحت أي ذريعة كانت أن نتراجع ونُقزم ونتخلى عن مكتسباتنا من تعددية حزبية وحرية إعلامية والمُشَاركة والشَراكة في صناعة القرار السياسي وتبني بمسؤولية من طرف جميع الشركاء السياسيين والاجتماعيين والتربويين الخيارات الأساسية لإنجاح الأمة الجزائرية.

لقد نهى الله عن إبطال أي عمل جميل فيه منفعة ومصلحة وخير للأفراد والجماعات والأوطان وجعله كفر بالنعمة.. والرِّدة عن مكتسبات المجتمع من ديمقراطية

وتعددية إعلامية وخنق للرأي الآخر والزج بكل صاحب رأي مخالف في غياهب السجون والتضييق على أرزاق الناس وإخافتهم بسبب تصوراتهم وقناعاتهم هو إبطال للعمل الصالح وكفر بالنعمة.. هي خيانة عظمى لأرواح كل أولئك الذين قدموا النفس والنفيس لكي تحيا الجزائر شامخة.. هي خيانة للوطن ولروح الطيب الوطني رحمه الله في ذكرى استشهاده.

آخر العلاج الكيّ!!

في المجتمع الجزائري مشاكل عديدة ومتعددة.. وبعض هذه المشاكل لا حل لها إلاّ علاجها بالكيّ.. ومن بين هذه المشاكل التي لا علاج لها إلاّ بالكيّ وهو آخر العلاج ما يسمى بظاهرة اختطاف الأطفال وقتلهم والتنكيل بهم عمدا.. وظاهرة حوادث المرور التي أصبحت تأتي يوميا على العديد من أرواح هذا الشعب؟!.

وعندما أقول علاج ظاهرة اختطاف الأطفال وقتلهم بالكيّ، أقصد بذلك تفعيل وتنفيذ عقوبة الإعدام حتى يعتبر من يعتبر، وحتى نقلص من هذه الظاهرة الخطيرة وحتى ينتقل الرعب إلى الطرف الآخر ممن يريدون زعزعة أمن المجتمع، وذلك بضرب فلذة كبد الأمهات والآباء.. وإدخال المجتمع في الشك والرعب والخوف من بعضه البعض ومن القريب والبعيد.. مع معالجة الظاهرة والنظر إليها من طرف مختصين في علم النفس والقانون وعلم الاجتماع والدين والأجهزة الأمنية المختلفة.

وإذا كان حقا المانع من تنفيذ هذه العقوبة هو إمضاء الدولة الجزائرية على معاهدات دولية، وتخوفها من الضغوطات الدولية ومن جمعيات حقوق الإنسان الدولية فإن الحل فيما اقترحه أحد الحقوقيين -لا أتذكر اسمه- وهو أن نذهب إلى استفتاء شعبي، وإذا قبل الشعب بتنفيذ هذه العقوبة على من ثبت عليهم خطف

وقتل الأطفال فإن هذا سيكون ورقة قوية نعلل بها عدم استطاعتنا الاستمرار بالعمل بمثل هذه المعاهدات.

ولأن الظاهرة أصبحت تشكل مشكلة نفسية واجتماعية في المجتمع، ولها تأثيرات خطيرة ستظهر في المستقبل سواء عند الأطفال أو في المجتمع برمته فهذا يحتم علينا الاستعجال والدعوة إلى تنظيم استفتاء شعبي في القريب العاجل.

أما الظاهرة الخطيرة الثانية التي ذكرناها والتي يجب علاجها كذلك بالكيّ هو سحب رخصة السياقة بفترات متزايدة تمتد مدى الحياة لكل من يقوم بمخالفة قانونية.. وتتبع بعقوبات مالية باهضة وإصدار قانون استعجالي بوضع كل من يملك رخصة سياقة في الجزائر في حالة تجريب.. مع معالجة هذه الظاهرة كذلك من جوانب أخرى مثل التكوين الجيد لمدارس السياقة وتزويدهم بالوسائل البيداغوجية للتعليم وتطوير شبكة المراقبة التقنية للسيارات ومنع دخول قطع الغيار المقلدة.

وإني لا أفشي سرا إذا أخبرتك أيها القارئ الكريم بأنني أكتب لك هذا المقال وأنا طريح الفراش بسبب ما حدث للبنت نهال رحمها الله.. فأنا لا أقدر على أي شيء وإني فاقد لقوة الكتابة والكلام وذلك منذ كنت شاهدا منذ اللحظات الأولى لما حدث للطفلين هارون وإبراهيم رحمهما الله والأزمة النفسية التي أصابتني بعد ذلك، والتي تعاودني كل مرة أسمع أو أقرأ عن براءة خطفت أو قتلت.

وإني جد متأكد بأن مثلي كثر ممن عاشوا مثل هذه الأحداث سواء خطف وقتل الأطفال أو حوادث المرور التي تقتل عائلات بكاملها مثلما حدث خلال الأسبوع الماضي ولهذا وجب على كل المعنيين التحرك لعلاج مثل هذه الظواهر ووضع حد لها بقوة القانون والسلطان، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ولنتوقف عن التسويف القاتل والمميت للمجتمع ومن الثرثرة التي لا تغني ولا تسمن.

الخطر.. الأنترنت أم الفراغ؟!

أصبحت تتردد جملة خطر الأنترنت، على الكثير من الألسن، وفِي العديد من وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة... كما أنها لمرات متكررة كانت عنوانين بارزة لملتقيات وندوات، فأصبح الأمر يبدو وكأننا أمام شبح أو غول يريد أن يلتهم الجميع دون قدرة لنا على فعل أي شيء.!

في رأيي الشخصي، لا أعتقد بأن الأنترنت مخيف إلى هذه الدرجة، فهو مجرد مرحلة من مراحل تطور التكنولوجيا وإتقان المجتمعات لهذه التكنولوجيا بسبب التعليم المنتشر وحق الشعوب فيه، وبسبب العولمة والنظام العالمي الجديد.. ولهذا وجب التفكير في هذه الإشكالية بطريقة صحيحة ومختلفة.

نتحدث عن خطر الأنترنيت ونحن نقصد مواقع التواصل الاجتماعي، وهذه الأخيرة هي حتمية للفراغ الرهيب الذي نعيشه، وبسبب إفلاس الأنظمة في تحقيق التنمية والازدهار وسهولة الخدمات مما دفعنا أفرادًا وجماعات للهروب من واقعنا واحتلال واقع آخر نعبر ونبحث فيه عن آمالنا وتطلعاتنا ولنثبت فيه وجودنا ونحارب الفاسدين من رجال السلطة والسياسة.

ففي بداية انتشار الهاتف النقال في الجزائر، كان اهتمام كل من امتلك هاتفًا في ذلك الوقت هو تغيير رنة الهاتف بين الفينة والأخرى، لأنه كان ذلك هو الموجود وعندما تطور الأنترنيت وأصبحت في كل هاتف انصب اهتمامنا على مواقع التواصل الاجتماعي لأن هذا هو الموجود والمتوفر، لكن في الغرب ولأن الإدارة أصبحت رقمية وافتراضية وكل الخدمات متوفرة في الهواتف النقالة قلّ اهتمامهم بمواقع التواصل الاجتماعي، أو على الأقل لم تأخذ حيزًا كبيرًا من وقتهم واهتمامهم مثلما هو حاصل عندنا، وجعلوه فيما ينفعهم وييسر حياتهم.

فالإشكالية إذن التي تعيشها بعض الشعوب، خاصة نحن في الجزائر هي أن العالم من حولنا في تطور سريع ومجتمعنا في تغير متسارع ونحن نبحث عن حلول بعقليات وبآليات وأفكار قديمة وطرح دون المستوى ولهذا تصدمنا النتائج لدرجة الاعتقاد بأن كل جديد مهدد ضار وقاتل لنا.

الدولة الذكية هي تلك الدولة التي تملأ الفراغات ففيها كل الأخطار والأضرار، هي الدول التي ترسم السياسات وتستدرج شعبها إلى ما هو نافع، وتهيئها لكل جديد أو على الأقل تجعل من الظواهر الضارة تمر عليها كسحابة عابرة، ولا أضر من ظاهرة الفراغ، فهو داؤنا وكل أمراضنا.

الرائحة رائحة البلاد.. ولكن!!

في بداية التعددية في الجزائر قدّم الفكاهي المدعو "دقة" نكتة على المباشر في التلفزيون الجزائري مفادها: أن جزائريا ذهب يوما إلى فرنسا.. يبدو أنه لم يكن يبصر فأراد أن يكلم أحد أفراد عائلته ليطمئن عليه، فَعِوضَ أن يدخل إلى بيت الهاتف ليكلمه دخل إلى بيت قضاء الحاجة.. وبطبيعة الحال عندما اتصل لم يكن يسمع شيئا فقال لمحدثه: "الريحة ريحة لبلاد" لكني لا أسمع شيئا.

وقد قامت القيامة على صاحب هذه النكتة في ذلك الوقت بسبب أنها أساءت للوطن وللشهداء وللمجاهدين ولكل الوطنيين المخلصين..!! لكنني جد متأكد بأن هذه النكتة لو قيلت في هذا الزمن لما اكترث إليها أحد.. فالذي يقال اليوم في الصحف وعلى مواقع التواصل الاجتماعي على الوطن أكثر وأثقل بكثير.. يسيئ إلينا جميعا.. حكاما ومحكومين.. مواطنين وأصحاب قرار.. أصحاب سلطة وعلماء.. أساتذة ومثقفين.. شعراء وسياسيين ويسيء حتى للشجر وللحجر وللطبيعة ولموروثنا الديني والثقافي.

اليوم أصبحنا كلنا نكّاتون وقصّاصون ليس من أجل الترويح على النفس وجعلها تركن للراحة وتنبسط بعد الجهد والعمل والإبداع والاكتفاء الذاتي صناعيا وزراعيا ولكن جلاّدون شدادا وعظماء على أنفسنا نعذبها ونتلذذ

بفعل ذلك بدون رحمة ولا شفقة وبدون وعي ولا حس لأننا فشلنا في بناء وطن كالأوطان وبناء الإنسان الذي يبنيه ويؤدي واجبه قبل أن يطلب حقوقه.

روائح البلاد أردناها أن تكون أنتن من رائحة الجيفة والمزابل في جميع المستويات.. بداية من المواطن الذي قتل جمالها وأزاح بشاشتها بسبب التصرفات السلبية واللامبالاة من رمي للأوساخ وفساد وتكسير.. وسلطة فاشلة كانت لها إمكانيات كبيرة وفرص عديدة من أجل الخروج من الأزمة وتطوير البلد ورائحة البلد والنهوض به سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وزراعيا وثقافيا.. لكنها فشلت وللأسف الشديد وهي الآن تتصارع لا ندري هل من أجلنا أم من أجلها لكن المهم أننا سنتذوق مرارة هذا الفشل وهذه الصراعات.. تتذوقه الأجيال القادمة لسنين عديدة قادمة.

وها هي النكت تتواصل للأسف الشديد على هذا الوطن ونواصل جلد الذات تلذذا بفشلنا وانهزاماتنا.. فمنذ نكتة الفكاهي "دقة" التي ثار لها بعضنا وضحك لها آخرون سبقتها أو أتت بعدها نكتة حقيقية أخرى شاعت في كل ربوع الوطن للرئيس الشاذلي بن جديد رحمه الله يوم قال: "البلاد التي ليس فيها مشاكل ليست بلد ونحن الحمد لله ليست لنا مشاكل".. ها هو أخيرا وليس آخر ما قاله السيد رئيس الحكومة الجزائرية: نحن لسنا في أزمة

لكن الحمد لله عندنا كل الإمكانات للخروج من هذه الأزمة ؟!!.

البلد سيواصل سيره على هذا النمط الذي يعرفه الجميع.. ورائحته ستبقى نفس الرائحة.. كريهة منفرة - إلاّ ما بقي من روائح الطيبين والصالحين وأولياء الله - ما لم نعزم عزما عظيما لكي نتطهر من البراثن والمخلفات وحب السلطة والتسلط بها ونتحد لنبني وطنا عظيما نتنسم بروائحه الزكية المنعشة.

السلوك "المازوخي" والشخصية الجزائرية!!

لا يهمنا في هذا المقال التذكير بالتعريف العلمي للسلوك "المازوخي"، ولا بأنواعه وأقسامه وأسبابه وعلاجه، ولا يهمنا أن نعرف كذلك نسبة انتشاره بين الذكور والإناث أو علاقته المباشرة وغير المباشرة بالسلوك "السادي".

لكن حتى نصل للهدف من هذا المقال لابد وأن نتفق على هذا التعريف البسيط للسلوك "المازوخي" والذي هو حب تعذيب الشخص لذاته والتلذذ والتمتع بذلك!!.

وعندما ننظر في سلوكات الفرد الجزائري من تصرفات وتعاملات مع الآخرين وفي إنتاجه الفني والفكري نجد بأنها سلوكات "مازوخية" إلى حد بعيد، يقتات من هذا السلوك المنحرف ويتلذذ بممارسة العنف على نفسه.

وأكتفي هنا بذكر سلوكين بارزين لهذا السلوك "المازوخي" الذي نمتاز بهما نحن الجزائريين، السلوك الأول يتصف به عامة الناس، والسلوك الثاني تتصف به معظم الطبقة المثقفة، خاصة في مجال الكتابة.

أما السلوك الأول هو نوعية الغناء المنتشر بين الشباب الجزائري، والذي يلقى رواجا كبيرا، حيث أن معظم الشباب يميل إلى الاستماع للغناء الحزين، الغناء الذي يعبّر عن آلامه، الغناء الذي يزيده همّا على غمّ، الغناء

الذي تسيل بسببه عيناه أنهارا من الدموع، الغناء الذي يدفعه دفعا لأخذ زاوية والابتعاد عن المجتمع وعدم التفاعل مع الحقائق اليومية. والمستمع لهذا النوع من الغناء يحقق نوعا من اللذة بذلك الحزن والألم الذي يسلطه على نفسه، وهو نوع من أنواع "المازوخية".

أما السلوك الثاني فلاحظته عند بعض الكتّاب، حيث أن السلوك "المازوخي" في كتاباتهم يصيح صياحا ويصرخ: ها أنا ذا.. لا يمكنك أن تخطئه أبدا، فمهما يكن عنوان المقال الذي يكتبونه إلاّ وتقرأ فيه هذا السلوك، يحسنون وصف الظلام ونشر اليأس.. يخوضون ليل نهار في أحداث تاريخية مؤلمة ولا يقدرون على الكتابة خارجها، ينظرون فقط إلى النصف الفارغة من الكأس يلعنون الظلام بدلا من إشعال شمعة، بارعون في ذرف الدموع بدل ضمد الجروح!!.

وإذا نظرنا أبعد من هذا، نجد بأنهم في حقيقة الأمر يمارسون على قرائهم نوع من أنواع "السادية"، والقراء بالمبالغة في التفاعل مع هذا النوع من الكتابات يقعون في سلوك "المازوخية".

لا أدري حقيقة لماذا سيطر علينا هذا السلوك، سيطر على خطاباتنا السياسية والدينية، قد يكون هذا نتاج ما مرّ علينا عبر الأزمنة والعصور من معانات وآلام وظلم خاصة أثناء مرحلة الاستعمار الفرنسي، لكن مهما تكن الأسباب فنحن في حاجة إلى نشر الأمل والتمسك بالأمل

لأنه في الأخير الأمل هو السلاح القوي لخروجنا مما نحن فيه، وليس السلوك "المازوخي" أو "السادي".

السياسة كذلك فنٌّ نبيل!!

لقد كانت حياة الملاكم العالمي الأمريكي المسلم "محمد كلاي" درسا عظيما لمن يريد أن يتعلم ويتغير.. فالرجل كان رمزا في النضال ضد التمييز العنصري الذي عانى منه أبناء جنسه وجلدته.. كما أنه كان عظيما في مواجهة الظلم وعدم الاشتراك فيه وذلك يوم رفض التجنيد في صفوف القوات الأمريكية يوم شنت حربا ظالمة ضد الشعب الفيتنامي الأعزل.. كما أن الرجل قدم دروسا متعددة وغنية بمعاني الإنسانية والعزة والكرامة عندما ساهم بجهده المالي والجسدي لإعانة الفقراء والمرضى والمحتاجين وقول كلمة الحق في المواقف السياسية المختلفة التي عاشتها الولايات المتحدة الأمريكة خاصة تلك المتعلقة منها بالمواقف العدائية ضد المسلمين في أمريكا وفي كل العالم.

وأعظم موقف أبهرني في هذا الرجل رحمه الله يوم رفض أن يكتب ويخلد اسمه على الأرض في شارع المشاهير بهوليود وأصر أن يكتب اسمه على الحائط لأن اسمه هو اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو لا يريد أن يسيء أحد لهذا الاسم بالمشي عليه فكان اسم "محمد كلاي" الأول من المشاهير الذي كتب على الحائط.

وفي موقف آخر أراد استفزازه أحد المنافسين الأشاوس ورفض ذكر اسم "محمد كلاي" في كل تصريحاته

الصحفية لأن اسمه اسم مسلم وأصر على أن يسميه باسمه الأول رغم إصرار "محمد كلاي" على أن يناديه باسمه الجديد.. ووصل استفزاز خصمه له إلى درجة أن غنى عليه أغنية قال في بعض كلماتها: إنك مثلما غيرت اسمك سأغير لك تقاسيم وجهك يوم المنازلة.. لكن كان جواب "محمد كلاي" له بأنك سوف تنطق باسمي الجديد عندما أهزمك على الحلبة.

ويوم المبارزة كانت تُتْبع ضربات "محمد كلاي" القوية لخصمه كلمة: قل "محمد كلاي".. فما كان من الآخر إلاّ أن نطق اسمه مجبرا غير مختار.

حياة "محمد كلاي" رحمه الله ورياضة الفن النبيل التي كان يمارس تصلح لأن يتعلمها أكثرية السياسيين عندنا.. فالخصم لن يحترمك إذا لم تكن قويا وشجاعا.. ولكي تكون كذلك لابد أن تثق في نفسك وفي قدرتك وتستلهم القوة من شعبك.. فالسياسة فن نبيلٌ تعتمد على الذكاء والتركيز ومعرفة مركز الثقل في نفسك والقدرة على امتصاص ضربات الخصوم ثم تحويل كل ذلك لصالحك من أجل انتصارات للوطن وللشعب.

إن السياسي الذي يدخل حلبة الصراع مهزوما نفسيا فاقدا للتركيز شاكا في قدراته العقلية والنفسية والمادية فمصيره الفشل وضياع الوطن.

إننا في أمس الحاجة في هذا الوقت إلى رجال دولة وسياسيين ومسيرين يتميزون بمميزات الملاكم "محمد

كلاي".. وأعظم ميزة كانت في هذا الرجل أنه لم يكن جبانا.. كان محبا لشعبه ولأمته.. كان مؤمنا بقضية ضحى وعمل لها.. فحق له الفخر والاعتزاز من شعبه ومن محبيه في كل أرجاء المعمورة وأنا أحد هؤلاء.. شكرًا لك "محمد كلاي".. شكرًا على ما قدمت من دروس عظيمة.. رحمة الله عليك وأسكنك فسيح الجنان.

كلمة في حق الشاب حسني رحمه الله

تمر علينا هذه الأيام ذكرى وفاة أو مقتل الشاب حسني رحمه الله.. وسواء اتفقنا أو اختلفنا على القيمة الفنية للكلمات وللألحان التي كان يؤديها إلاّ أننا لا يمكن أن نختلف بأنه كان في ذلك الزمن العصيب جوهرة تتلألأ نورا وإشعاعا في وسط ظلمات التطرف والتعصب.. كان أمل الشباب وملهمهم لغد واعد وأمل قادم.

لا يمكن أن ننكر بأنه مرّ علينا زمن كان فيه الرصاص والخوف والإرهاب بكل أنواعه وأشكاله سيد الموقف.. دولة بكاملها كانت على حافة الانهيار.. فزع وذعر في كل بيت وفي كل نفس.. قرى ومداشر هجرها أصحابها خوفا على أنفسهم وعلى بناتهم وخوفا من كل ليل لا يدرون ماذا هو مقدم لهم.. خوف وفزع وهلع سكن قلوب سكان المدن فلم يعودوا يأتمنون سوقا للتسوق ولا حافلة للنقل العمومي للتنقل ولا مقاهي للجلوس.. لم يكونوا يدرون متى تنفجر قنبلة أو لغما زرعه شيطان بين أرجلهم.

أثناء كل هذا الهول العظيم الذي كنا نعيش كان الشاب حسني رحمه الله يغني للحب وللحياة.. كانت ألحانه تصلنا كالنسيم المنعش والماء الزلال في يوم رمضاء.. كان صوته يعلو فوق صوت دعاة تقطيع الرؤوس وسفك الدماء.. دعاة الدمار والحرق وقتل الأرحام.. في تلك الأوقات الحرجة كان رحمه الله يغني عن الأم وعن الفقير

واليتيم.. غنى عن الهجرة والغربة والوطن والأمل والسعادة.. غنى عن الصداقة والمحبة والرحمة وعن عنفوان الشباب وجمال الإنسان.. كان صوتا مختلفا عن الذين خدعونا بالله وبكلام الله وبكلمات عنيفة إرهابية قالوا عنها إنها أناشيد إسلامية!!.

إن الكلمات التي كان ينطق بها الشاب حسني حتى ولو اختلفنا في قيمتها كما ذكرنا لكنها كانت أفضل وأزكى وأطيب من كلمات سميت بأناشيد إسلامية تقول: "مزقوني أقتلوني" لكي يدخل صاحبها الجنة.. أو كلمات أخرى يدعو فيها صاحبها لحمل السلاح والذهاب إلى الجبل للكفاح من أجل نيل الجنة والفوز بحور العين.. كان تضليلا عارما أودت تلك الكلمات بحياة الكثيرين وغررت بهم ودفعتهم لحمل السلاح في وجه شعبهم وأمتهم وإخوانهم وأخواتهم.

إن الكلمة مسؤولة أمام الله وأمام الناس.. وكم خدعنا في صغرنا بكلمات عنيفة مرهبة قالوا لنا بأنها تقربنا إلى الله زلفة وأن التعبد بها فوز في الدنيا والآخرة.. لكننا عندما كبرنا وفقهنا معانيها ومدلولها وجدناها كلمات تدعوا للانتحار وتدمر المجتمع وتساعد على العنف وتبعد الإنسان عن حاضره وتعزل بينه وبين صناعة الحياة وخدمة الإنسانية.

إن كلمات الشاب حسني في ذلك الزمن العصيب كانت أفضل وأرفع شأن من كلام الكثير ممن يحسبون أنفسهم

دعاة إلى الله والكثير من السياسيين المتعصبين على اختلاف تشكيلاتهم.. صوت الشاب حسني كان صوتا وسطيا يضاف إلى صوت الكثير من الوطنيين والمخلصين الذين كانوا يدعون للحوار وينبذون العنف ويبكون حرقة على الحريق الذي نشب في كل نواحي الوطن.. الشاب حسني رحمه الله قدم رسالة مميزة وأحبه الكثير من الشباب.. فكان أملهم سواء أحببنا فنه أم لم نحبه.. اتفقنا معه أم لم نتفق.. لكنه رحمة الله عليه لم يقتل أحدا مثلما فعل من كانوا يظنون أنهم يحسنون صنعا.

الشباب والطاقات المُهدَرة!!

ألف الشيخ محمد الغزالي رحمه الله كتابا رائعا عنوانه: الإسلام والطاقات المعطلة.. تحدث فيه عن أسباب تخلف المسلمين وعن الطاقات المعطلة فيه بسبب قلة الوعي أو بسبب ضعف في التقدير أو بسبب الجهل بأولويات الإسلام ونظرته للإنسان وللحياة.. كتاب قيم يضع أمام المسلم الصورة الكاملة لفهم الأسباب الرئيسية لهذا التيه ولهذا التخلف الذي تعيشه الأمة من المشرق إلى المغرب.

وعندما فهم بعض الشباب بعض ما طلب منهم وأرادوا القيام بواجبهم نحن هذه الأمة وحركوا طاقاتهم لخدمتها في كل المجالات وعلى جميع الأصعدة وقعوا في خطأ آخر لا يقل ضررا عن الوضع الذي كانوا فيه كطاقات معطلة لم يعرفوا كيف يتصرفون بها في خطأ أسميه بالطاقات المهدورة!!.. أي أنهم جمعوا كل قدراتهم وإمكاناتهم وتركيزهم وجهدهم لتأدية عمل يعتبر من ناحية بناء الإنسان وتكوينه وإرشاده لبناء الحضارة والحياة عملا تافها بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.. وعندما أقول عملا تافها فهذا لا يمنع أن قد يكون له القبول والأجر الكبير عند الله.

ومن بين هذا العمل هو تحرك كل هذه الطاقات المهدورة نحو هدف واحد في هذا الشهر الكريم من أجل

إفطار عابري السبيل.. بل وأصبح يشارك في هذه العملية حتى بعض الولاة ورؤساء الدوائر والبلديات ولا ندري فقط نسمع أو نشاهد مساهمة حتى رئيس الحكومة في هذه العملية خاصة ونحن في العشر الأواخر من رمضان!!.

المقصود من كلامي هذا ليس أبدا أن أسفه عمل هؤلاء الشباب أو المسؤولين -فالله لا يضيع أجر المحسنين- وإنما أريد أن أشير إلى أن هذه الطاقات التي تهدر من أجل توزيع قارورة ماء وعلبة لبن مع حبات تمر على الطرقات يمكن أن تهدر في عمل آخر خاصة في هذه العطلة الصيفية من أجل توعية الشباب والعمل الجواري مع المنحرفين وممارسة كل أنواع النشاطات من رياضة ومسرح ونشر ثقافة الاستماع إلى الموسيقى المهذبة وفتح المكتبات للمطالعة والعمل المكثف لصناعة إنسان الغد المحب لوطنه ولأمته المدرك لأسباب تخلفها.

حقيقة لم أفهم لغاية هذه الساعة ما المعنى من تنظيم أطول مائدة لإفطار الناس؟!.. ولم أفهم المعنى من كل هذه الشعارات التي ملأت شوارع المدن والقرى مكتوب عليها: مائدة إفطار الصائم؟!!.

جميل أن يسعى الشباب للعمل من أجل كسب الأجر من الله خاصة في مثل هذه الأعمال لكن كأمة متخلفة في جميع المجالات فإنه المطلوب منا أن نكسب الحسنات في المجالات التي ترفعنا لنكون من بين الأمم الراقية والمتطورة.

الوعي بكيفية توجيه طاقات الشباب أصبح ضرورة حضارية حتى نربح الجهد والوقت وحتى ننتقل في كل مرة إلى مرحلة جديدة متقدمة وحتى لا نهدر المزيد منها.. وبين الطاقات المعطلة والطاقات المهدرة فلسفة تتطلب من المربين والمصلحين وأهل الخير الانتباه والوعي.. فنحن نريد غرس سنبلة الوعي والفهم التي تعطي مائة حبة.. والله يضاعف للأمة تطلب الرقي والتطور والنجاح.

الصحافة والحكم الراشد

تمنيت بمناسبة اليوم الوطني للصحافة الجزائرية الذي صادف يوم أمس، أن تكون هناك لفتة من طرف الصحفيين للسلطة في البلاد حول الوضع الذي تمر به الصحافة والصعوبات التي يواجهونها أثناء وبعد تأديتهم واجبهم.

تمنيت لو توقف كل البث سواء في الإذاعات أو في التلفزيونات في نفس الوقت لمدة زمنية، وأبقيت مساحات الرأي في كل الجرائد الوطنية المعربة منها والمفرنسة سوداء فارغة من أي محتوى، تنبيها للسلطات وللرأي العام على الصعوبات التي تواجه هذه المهنة الشريفة.

ففي الدول الديمقراطية من حق الصحفيين الوصول إلى المعلومة الرسمية، ومن حقهم متابعة كل المحاكمات خاصة تلك التي تتعلق بالفساد المالي والأخلاقي للمسؤولين، من حق الصحفي الذهاب إلى أي مؤسسة مهما علا شأنها ويطلب الأرقام والإحصائيات.. وكل هذه الحقوق والامتيازات في حقيقة الأمر ليست من الحق الصحفي والوسيلة الإعلامية مثلما يتصور أغلبنا، بل هي من الحقوق الأساسية للمواطن، حتى ينظم حياته ويبرمج مستقبله ومستقبل عائلته وأولاده.

وعندما صدّت أبواب الوصول إلى المعلومة والإجابة عن تساؤلات الصحفيين بشكل واضح وشفاف في

الجزائر، أصبح كل واحد يتحرك بطريقته الخاصة يستغل ما تحصل عليه من معلومات لممارسة الابتزاز والتهديد، ولهذا أصبحت الساحة الإعلامية في الجزائر تعج ببعض الانتهازيين والمتسلقين والمتحالفين مع بارونات المال الفاسد من أجل مصالح ضيقة ضد الشعب، بل ومنهم من أصبح أداة وورقة خطيرة، يعمل من أجل الترويج للشائعات وخلق جو من الشك واللعب بعقول الشباب ودس السموم والمغالطات بعيدًا كل البعد عن أخلاقيات هذه المهنة الشريفة، ومن يطلّع على نظرية الإبرة تحت الجلد في الإعلام والاتصال يدرك خطورة ما أقول، وأغلبهم قد فضحه الحراك وأبان عن خبثه للأسف الشديد.

إن أي مجتمع تفتقد فيه شفافية المعلومة وتغيب فيه حقيقة الأحداث، يصبح مجتمعًا مهددًا بالإشاعات، تخلق فيه أجواء عدم الاستقرار والخوف من المجهول، وتنمو فيه فقاعات أشباه الصحفيين حتى ولو حازوا على شهادات وبطاقات المهنة، ويصبح عرضة للتيارات المتدافعة والجارفة، وتقل فيه فرص الاستثمار ووضع السياسات الناجعة وبالتالي الفشل في تحقيق الحكم الراشد.

الصلاة عماد الدين يا سيادة الوزيرة

ما شد انتباهي في الجدال الذي أثارته وزيرة التربية الجزائرية السيدة بن غبريط ليس تصريحها بمنع الصلاة في المدارس، وليس تأكيدها على أن ما قامت به مديرة المدرسة الدولية بباريس بتوقيفها لتميذة لمدة أسبوع كامل عن الدراسة بسبب أنها أدت فريضة الصلاة أنها كما قالت: أدت واجبها فقط، وإنما مصطلح "الممارسة" الذي استعملت.

والحقيقة أن السيدة الوزيرة بهذا التعبير الذي اختارت، تعبير "الممارسة"، هي تستعمل مصطلحات من مخزونها التعليمي والأكاديمي كباحثة وكمتخصص في الأنثروبولوجيا، وكأنها باستخدامها لهذا المصطلح هي أمام دراسة لقبيلة من القبائل تعاين وتدرس الغرائبية فيهم وتراقب ممارساتهم وطقوسهم الدينية، وهنا في اعتقادي يكمن الخطر!!.

الذي يجب أن ننتبه إليه ونحذر منه في تصريح الوزيرة هو إدخال مفاهيم ومصطلحات لا تتماشى مع معتقداتنا مع ديننا الذي اخترنا وارتدينا، ديننا الذي نعتقد بأنه دين غالبية الجزائريين، دين الدولة الجزائرية ودين الوزيرة نفسها كما صرحت بذلك قبل أشهر عندما أشيع عنها أنها تدين بديانة أخرى، وقد أنكرت ذلك وأكدت أنها مسلمة كعامة الجزائريين.

إن تحديد المصطلحات والتدقيق فيها مهم جدا خاصة عندما يكون الخطاب موجها للشعب وللتلاميذ أنفسهم كما أنه يجب أن تُنتقى لأنها تصدر من مسؤول تنتمي لهذا الشعب ولدولة هذا الشعب، فاختيار المصطلحات المناسبة أهم بكثير من الحديث عن أمر قانوني، لأنها تخاطب جيلا نعتقد بأن التنشئة الاجتماعية الصحيحة أولوية من أولويات المدرسة، فكيف إذن نغير له مصطلح الصلاة بمصطلح الممارسة أو الطقوس؟!.

في رأيي الشخصي، السيدة الوزيرة بتصريحها لا تريد أن تمنع أداء فريضة الصلاة في المدارس فقط، فهذا أمر يمكن مناقشته ودراسته مع الفاعلين في هذا القطاع حتى نحافظ على روح الصلاة شكلا ومضمونا باختيار المكان والزمان، لكنها من حيث تعلم أو لا تعلم، بقصد أو عن غير قصد هي تضرب قدسية الصلاة في عقل وتفكير ووجدان التلاميذ، حتى لا تبقى لها قيمة ولا عظمة ولا هَيْبة وتصبح مجرد ممارسة مثل ممارسة رياضة الكاراتيه أو الجيدو، أو طقوس مثل التي تمارسها شعوب وقبائل في مناطق عديدة على هذه المعمورة في القديم وفي هذا العصر.

وفوق كل هذا، خطورة الإجراء، وهو معاقبة كل من يؤدي الصلاة، وكأن الصلاة لا تختلف عن أي انحراف آخر يمارس في المدرسة وجب معاقبة فاعله، وأكثر من هذا، هنيئا لك سيدتي الوزيرة تأييد ومباركة منظمة

روتاري الصهيونية العالمية لقرارك، أوليس الله القائل:
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم؟!.

الفُلكلور الإسلامي..!!

في حقيقة الأمر، لا يوجد فيما أعلم مصطلح في علم الإجتماع أو الفلسفة أو السياسة أو الإعلام يُسمى: الفلكلور الإسلامي، وإنما هو مصطلح جئت به وذلك لمّا عدت عن طريق مقاطع اليوتيوب إلى بداية ظهور الصحوة الإسلامية والتعددية السياسية في الجزائر خاصة تجمعات الأحزاب ما يسمى بالأحزاب الإسلامية.

تجمعاتهم فلكلور بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.. صراخ وضجيج.. خطاب ديني فضفاض.. استعمال غير موفق لآيات الله وأحاديث رسوله.. عودة عمياء إلى تراث قديم ومحاولة العودة به وبما حمل من أجل حل مشاكلنا اليومية.. جعل من الآخرين -أبناء الوطن المخالفين أو الغرب عموما- العدو الذي يتربص بهم ويريد لهم الهلاك والزوال.. طرح ديني متعصب يُعنّف كل مخالف أو متحفظ.. خطاب مشحون بالعواطف الجياشة التي تخاطب القلوب دون العقول.. يفتقر إلى الفكرة القوية وإلى البدائل الحقيقية التي تستشرف المستقبل وتنظر بعمق في كل أحداث المكان والزمان.. خطاب "فلكلوري" تتخلله بما يسمى أناشيد إسلامية.. وصيحات الله أكبر المدوية للمكان.. والدعوة إلى المشروع الإسلامي الذي لم أفهم إلى غاية هذه اللحظة ما المقصود بهذه الكلمة.. حراك وتحرك لشباب في مقتبل العمر ذو بنية قوية

وطاقة عظيمة لا يتحدثون فيما بينهم إلاّ أحاديث الجنة والنار وجلد الزانية والزاني، وإعفاء اللحية وقص الشارب ومواضيع الطهارة الرجالية والنسائية.

وهاهي الأحزاب الإسلامية اليوم، تعيد لنا بالصورة والصوت نفس تلك المشاهد الماضية، بكل جزئياتها وهوامشها.. بعدما كنا نعتقد بأن الإسلاميين تعلموا وغيَّروا من أفكارهم.. رتبوا ترتيبا جيدا الأولويات.. فهموا أنهم ليسوا جماعات أو أحزاب الله المختارة.. ابتعدوا عن اللعب بعواطف وقلوب المريدين.

أما برنامج الفلكلور الإسلامي فهو واضح وضوح الشمس.. لأنه نفسه منذ عقود.. بدايته أناشيد إسلامية ثم تداول قادة التيار الإسلامي على المنصة، ليحدثوا الناس في أمور دينهم، وطبعا، سيكون حديثهم عن عدالة عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، وعن وحدة الأمة وعن فضل اللغة العربية على كامل اللغات الأخرى، وعن الإعجاز العلمي، والدولة وكل من خالفهم هم العدو فاحذروهم.. والممثل الرئيسي الذي لا يتغير ولا يتبدل لكل هذه الأنشطة هم أنفسهم من عرفناهم قبل ثلاثين سنة أو يزيد، وكأن هذه الأحزاب ليس لها باحثين من الشباب في علم الاجتماع والسياسة والفلسفة يكونوا على رأسها لكي يجددوا لها خطابها وفكرها؟!.

إنه فلكلور حقيقي، لأنه بعد نهاية هذا المهرجان سيعود كل واحد إلى بيته، معتقدا بأن نصر الله قادم وأن

الدولة والمشروع الذي يريده سيتحقق، والحقيقة هي أنهم لم يفهموا بعد بأن كل هذا من الماضي.. من زمن الانحطاط.. زمن الرمز الواحد الأوحد القادر على كل شيء.. وأننا في عصر الأفكار القوية.. استشراف المستقبل.. الحديث إلى العقول.. عصر النقاش والسؤال والإقناع.. زمن المؤسسة والتأطير الجيد.. فهم آخر للطرح الديني والمواطنة والثقافة.. علاقتنا بماضينا وحاضرنا وبالعالم الآخر من المخالفين.

القابلية للغش وثقافة الغش!!

الغش في الجزائر أنواع وأصناف.. وثقافة الغش متجذرة وعميقة.. وأسباب كل هذا متعددة ومتشعبة.. ويكفي أن يسأل كل واحد منّا نفسه أو ابنه أو أحد الأقارب أو الجيران سوف يرى بأن لنا قابلية لفعل الغش إذا ما توفرت السبل لذلك أو إذا ما أرغمنا على ذلك.

ولا يوجد فوق هذه المعمورة مجتمع لم تصبه هذه الآفة.. مهما بلغ القمة في التربية والشفافية وفي احترام وتطبيق القانون.. لكن يصبح الأمر في غاية الخطورة عندما يكسب المجتمع ثقافة الغش والقابلية له. وتُكتسب ثقافة الغش بالعادة والتكرار وغض بصر المجتمع والسكوت عليه.. وتُكتسب القابلية للغش عندما ينعدم في المجتمع مبدأ المساواة بين أفراده.. وعندما تغيب الحلول التي تدفع بالأفراد لتحقيق طموحاتهم ورغباتهم.. وعندما تسكن أفراد المجتمع الهزائم ويفقدون الأمل وتصبح مسألة حياتهم أو موتهم سيان.

وما حدث أثناء امتحانات شهادة البكالوريا هو نوع من أنواع الغش الذي تشعب وتعدد في مجتمعنا.. فما حدث هو غشٌ عن صون الأمانة والدفاع عنها.. مثله مثل من يأخذ رشوة كي يسهل دخول الممنوعات إلى الوطن.. أو يساعد في تحطيم الاقتصاد الوطني.. أو ذلك الذي يساعد

ويساهم في دعم الإرهابيين بالمعلومة والمؤونة من أجل تنفيذ عملياتهم الإرهابية.

فكل هذا غشٌ خطر على البلاد والعباد.. وكذلك الذي يغش الماء في اللبن أو في المواد الغذائية في شهر رمضان أو في غير شهر رمضان.. فالكل غشٌ مهما صغر أو كبر.. وأنا هنا أستند إلى ما يقول به ديننا الحنيف وما تعتمد عليه فلسفة "كانط" فأنا أنكر الفعل الذي ينكره عقلي مهما كان حجمه أو الفائدة التي تأتي من ورائه.

ولهذا فالحديث عن الغش في جزئية من الجزئيات مثلما حدث في بكالوريا هذه السنة ليس حلا ولن يقدم أو يؤخر.. فالمطلوب هو البحث في أسباب القابلية لهذا الغش وفي ثقافة الغش التي أصبحنا نراها عند الكبير وعند الصغير.. عند المتعلم وعند الجاهل.. عند المسؤول وغير المسؤول.. عند المتدين وغير المتدين.. عند الغني وعند الفقير.

ولو نريد أن نذهب مباشرة لعمق المشكلة وذكر أسباب القابلية للغش وأسباب ثقافة الغش، لقلنا بأن ذلك يعود إلى غياب هيبة الدولة.. فالدولة التي تنعدم فيها التدافعات السياسية المبنية على المصالح وينعدم فيها اللعب من وراء الستار بين اللاعبين الكبار وتتوفر بها الشفافية في الحكم وفي الممارسة السياسية فلا محالة سينعدم فيها الغش.. والدولة التي تضرب بيد من حديد وتطبق القانون وتفرض هيبتها فيما يسمح به القانون فإن

قابلية الغش بها وثقافة الغش ستنعدمان.. والدولة التي تساوي بين الجميع في فرص النجاح فهي دولة حتما لن يعرف مجتمعها القابلية وثقافة الغش.

ولهذا ما نعيشه اليوم من تفشي ظاهرة الغش في كل جوانب حياتنا هو لأننا فشلنا في معركة البناء.. بناء الدولة التي تقوم على العدل والمساواة وتطبيق القانون على الجميع.. فما نقوم به اليوم هو عملية "الهدم".. ليس فقط هدم الدولة ولكن نحن بصدد هدم ذواتنا ومقومات وجودنا.

القانون قبل الدولة!!

قد يكون عنوان مقالي هذا صادم نوعا ما لبعض القرّاء.. حيث قد يتساءلون كيف يمكن أن نقدم القانون عن الدولة والجميع متفق على أن الدولة هي الأساس بدونها لا مكانة لا للقانون ولا للعدالة ولا حتى لوحدة الوطن والمجتمع.

والحقيقة أن هذا الطرح سيقودنا حتما إلى مناقشة فلسفية قد لا تنتهي أبدا، وتطول بنا من أجل إقناع أحد الطرفين.. أي بين من يقدمون الدولة عن القانون وأولئك الذين يقدمون القانون عن الدولة.. لكن حتما سيتفق الطرفان على أن القانون هو الذي يقوي الدولة ويجعلها مهابة ومحترمة من طرف القريب والبعيد.. وهذا الذي يهمنا في الموضوع.

وهذه حادثة جرت الأسبوع الفارط تظهر هذه الحقيقة، حقيقة أن القانون يصنع الدولة ويعطي لها احتراما عظيما أكثر مما يفعله الشعر والغناء والتباكي المصطنع عليها. حيث أوقفت شرطة مدينة "مالمو" التي تقع جنوب السويد وزيرة التعليم الثانوي "آيدا هادزياليتش" وهي تقود سيارتها أين كانت متوجهة إلى عاصمة الدانمارك "كوبنهاجن" تحت تأثير الكحول، مما أدى بالوزيرة التي تبلغ فقط تسع وعشرون سنة والتي تنتمي إلى نفس حزب رئيس الوزراء "ستيفان لوفين" إلى

عقد مؤتمر صحفي لتقديم اعتذارها وإظهار ندمها على هذا الفعل ثم طرح أمام الجميع ورقة استقالتها.. فكانت الموافقة على هذه الإستقالة مباشرة من رئيس الوزراء ولومها على ما فعلت وتصريحه بأن الطاقم الوزاري خسر وزيرة ذات كفاءة وقدرات عالية.

ومن هذه الحادثة يمكن لنا أن نستخلص هذه النقاط لنبرهن كيف أن القانون يقوي الدولة ويجعلها مهابة ومحترمة.

أولا: الدور الإيجابي للشرطة التي لم تتستر على الحادثة. ثانيا: شجاعة الوزيرة في الاعتذار والندم وتقديم الاستقالة مباشرة في مؤتمر صحفي. وثالثا: موافقة رئيس الوزراء على هذه الإستقالة دون أدنى اعتبار على أنها أحد أفراد طاقمه الوزاري أو لأنهما ينتميان لنفس الحزب وهو الحزب الديمقراطي الاشتراكي.

ومن كل هذا وعندما نجمع كل هذه المعطيات ندرك أهمية احترام القانون.. وأنه لا عاطفة أمام الخطأ وأمام الفشل.. وأنه لا نجاح لنا إلاّ بتطبيق القانون وأن القانون هو الفاعل الوحيد الذي يبني الدولة ويجعلها مرفوعة الرأس أمام الجميع.. وعندها يمكننا القول بأننا بنينا دولة لا تزول بزوال الرجال.

المساجد والانتخابات

لقد لعب المسجد أدوارا عظيمة في تاريخ الأمة الإسلامية، كان المركز الذي تعالج فيه قضايا الناس، كان عبارة عن مبنى ليس للعبادة فحسب، وإنما لتسيير شؤون القرية والمدينة بل وحتى لتسيير شؤون الدولة.

كان أداة جامعة، ومع تطور المجتمعات وتطور العلوم الإنسانية عموما، وتشّكل الأحزاب وبروز الأيديولوجيات والتنافس على السلطة، أصبح المسجد كذلك نقطة صراع وتجاذبات، ليس فقط بين مختلف الحساسيات السياسية وإنما حتى بين أبناء التيار الواحد.

ومعظمنا يتذكر حرب "الكادنات" التي كانت بين الإسلاميين في مساجد الأحياء الجامعية وحتى في المساجد الأخرى، ومن يستولي على أكبر عدد من المساجد، وإضافة مسجد كغنيمة لهذه الجماعة أو تلك يعني وسيلة إضافية لنشر فكر هذه الجماعات.

وهناك جماعة أصبحت الآن حزبا سياسيا ستشارك في الانتخابات القادمة، كانت رائدة في هذه الحروب والفتوحات، فتوحات ضم المساجد إلى إمبراطوراتها كانت تقوم بتدريبات شبه عسكرية لأفرادها وتخطيطات تكتيكية من أجل السيطرة على مسجد تابع لجماعة أخرى!!.

ثم في سنوات التسعينات أصبح المسجد مكانا للدعاية السياسية ولدفع الناس للتصويت على حزب معين مستعملين أدبيات الترغيب والترهيب وإصدار فتاوى متطرفة كانت تصب علينا من كل حدب وصوب.

ولهذا أصبح من المنطق منع ممارسة السياسة أو الدعاية الحزبية في المساجد، حتى لا تكون فتنة وعامل تفريق بين جموع المصلين وروادها، فمن العقل والتعقل جعلها على حياد من كل تلك التدافعات والصراعات.

وبعدما قطعنا أشواطا كبيرة في عملية إخراج المسجد من الصراعات، وبدأ الناس يتقبلون هذا ويتعودون عليه تفاجئنا وزارة الشؤون الدينية بإلزام كل الأئمة في جميع مساجد الجمهورية على تناول موضوع خطبة جمعة لدعوة المصلين للمشاركة بقوة في التشريعيات القادمة!!.

هذا الإلزام في رأيي الشخصي غير مقبول، لأنه يخالف مادة من مواد الدستور الجزائري، كما أنه يعتبر انتكاسة وعودة إلى صراع قديم جديد لسنا في حاجة إليه، كما أنه يعبر عن عجز لدى السلطات وفشل ذريع في تسيير العملية السياسية وترغيب المواطن في المشاركة، فشل ذريع سببه أن النشاطات السياسية في الجزائر تقيد لسنوات وتفتح لفترة قصيرة قُبيل كل مناسبة انتخابية.

المهاجرون والثقافة الغربية

حرص مالك بن نبي رحمه الله عندما عالج مشكلة الثقافة في البلدان المستعمرة على نقطة مهمة جدا، قد لا ينتبه إليها أكثرنا. هذه النقطة هي تفريقه بين المهاجر الذي يذهب إلى الغرب من أجل العمل وكسب المال والرزق، حيث يشعر بأن هذه هي مهمته التي يجب أن يؤدي، وبين المهاجر الذي يذهب من أجل هذا لكنه يسعى جاهدا للإطلاع على ثقافة الغرب وتعلم طريقة تفكيرهم وطريقة تعاطيهم مع القضايا الأساسية واستخلاص التجارب منهم، وفهم نمط حياتهم ومشكلاتهم الاجتماعية.
المهاجر من الصنف الأول عند عودته إلى وطنه فإن أقصى ما يمكن تقديمه للوطن هو أن يبني منزلا جميلا.. يقتني سيارة ويفتح محلا لتسترزق منه عائلته.
أما المهاجر من الصنف الثاني فقد يحقق كل ما حققه مهاجر الصنف الأول لكنه يضيف عليه أمورا إيجابية كثيرة، سواء لشخصه أو للمجتمع ككل، مثل طريقة التفكير، التعلم من تجاربهم وأخذ خبراتهم، حسن معالجة المشاكل والنظر الثاقب لكل قضية تطرح عليه.. الخ.
وعند تعاملك مع النخب المهاجرة قد يخيّل إليك عند سعة الحال أنهم كلهم من الصنف الثاني، لكن عند أي طارىء أو مشكلة أو خلاف فيما بينهم فلن ترى أمامك إلاّ

عقولا متحجرة ونفوسا مثقلة بالأمراض وضغائن وأحقاد وكراهية وكل شيء يسيء لخلق الإنسان ويخالف خلق الرسول والقرآن.

كتبت في أحد المقالات السابقة بأن المهاجرين عموما عندما يصلون إلى بلد المهجر حاملين معهم حقائبهم فإنهم يغيرون كل شيء في هذه الحقائب إلى الأحسن إلاّ حقيبة واحدة يغفلون عليها وهي حقيبة الفكر والعقل. عدد المهاجرين الجزائرين يبلغ عدة ملايين، وكم هو عدد كبير في فرنسا، تخيل معي عزيزي القارئ لو أن كل واحد يحمل معه فكرة مفيدة ليطبقها في بلده، أو وعيا سليما في فهم الحياة عموما وفي عناصر تكوين الحضارة خصوصا، فمن المؤكد أننا سنربح الكثير من الوقت وسنتطور سريعا.

لا أريد أن أطلب الكثير من إخواني المهاجرين وأنا واحد منهم، لكن يمكننا أن نبدأ بالأمور البسيطة حتى نتطور ونرتقي.. لنتعلم طرح هذا السؤال عند مواجهتنا لأي مشكلة: لماذا حدثت هذه المشكلة؟! لابد من الابتعاد عن النفاق حتى ولو كان فيه خسارة لنا. والتفكير بصوت مرتفع عن ما نرغب ولا نرغب، وأن لكل شريط مسموع جهتان وليس جهة واحدة.

للأسف الشديد السفارات الجزائرية في كل بقاع العالم أهملت كليا جاليتها، تركتهم لأنفسهم خاصة من الناحية الثقافية والفكرية والاجتماعية.. تركتهم فقط لدول

الغرب لتستفيد منهم من ناحية العمل ودفع الضرائب وفقط.

السياحة والنظافة

لا يمكننا أن نتحدث عن السياحة دون الحديث والتأكيد وتحقيق النظافة، فما يجلب السواح لاختيار بلد ما هي نظافة هذا البلد، ثم بعد ذلك ينظر إلى الخدمات والمرافق المتوفرة والامتيازات التي يتحصل عليها إذا ما اختار هذا البلد دون بلد آخر.

في الجزائر لا أعتقد بأن إشكالية السياحة بها متعلق بالقرار السياسي فقط كما يقول البعض، وإنما الذي ينقصنا هي ثقافة السياحة، وثقافة السياحة بتعريف بسيط هي أن يشعر السائح بأنه ضيف عزيز، والضيف العزيز لا يُقدم له إلاّ كل ما هو عزيز، حتى ولو أن الهدف هنا ما نحصل عليه من أموال يدفعها مقابل الخدمات.

وحتى يعود السائح إلينا مرة أخرى ويأخذ صورة جميلة عنّا كإشهار مجاني، لابد أن يعود إلى وطنه في صحة جيدة، صحة بدنية وصحة نفسية، الصحة البدنية تتحقق بالأكل والمشرب الطيب ووسائل النقل المريحة، والصحة النفسية تتحقق بما يرى ويُعايش ويشعر من أمن وراحة.

في بلدان أخرى، حققت في المجال السياحي كل هذا وأكثر من هذا فكّرت في الهدايا التذكارية التي يعود بها السائح إلى بلده، من بينها صنّعت علبا صغيرة بها هواء

بلدها، وهي رمزية تعبر على نقاوة هواء هذا البلد من كل تلوث أو ضرر بالصحة.

إني أتحدث عن كل هذا، وهو فيض من غيض كما يقال، في الوقت الذي ما تزال فيه شوارعنا كوارث بيئية جراء رمي الأوساخ والقاذورات في كل مكان، وحتى في عيدنا الأضحى المبارك وهو عيد التغافر والرحمة نقدم صورا همجية لا تليق، دماء في الشوارع ورمي لجلود الخرفان دون تفكير في الصحة العامة، فلربما بعض من يشجع السياحة ولا يكترث لهذه المظاهر يفكر أن يهدي السواح بعد عودتهم لبلدانهم قطعا من بقايا الجلود النتنة، ربما هكذا يفكر البعض دون شعور منهم.!!

الوطن لا تبنيه عقلية "الذر"!!

العامل المشترك بين السلطة في الجزائر والشعب هي عقلية "الذر"، وعقلية "الذر" كما يعلم الجميع لا يمكن أن تبني منزلا بسيطا فما بالنا بوطن شامخ.

وإذا أردنا أن ننظر إلى تاريخ السلطات المتوالية في الجزائر منذ الاستقلال إلى غاية هذه الساعة لوجدنا بأنها تعاملت عموما مع خيرات البلاد من بترول وغاز وخيرات أخرى بعقلية "الذر"، أي أنها لم تعط قيمة لهذه الموارد فبذرت وأضاعت وأسرفت وأفسدت، فكانت النتيجة أن تحرك الشعب ليعبّر عن سخطه واستيائه ورفضه لذلك الفساد والتبذير واحتجاجاته عن غلاء المعيشة وانعدام التنمية والشغل والعمل، لكن تحركه كان كذلك بعقلية "الذر" فكسّر مكتسبات الدولة وأحرق أملاكه وأدخل البلاد في فتنة أصبح الحليم فيها حيرانا، فتن وليال حالكة كادت أن تذهب بالبلاد والعباد.

لقد حدث كل هذا قبل حوالي ثلاثة عقود، لعبت السلطة بأموال الدولة وبالسياسات الفاشلة لعبة "الذر" فقابلها الشعب بلعب مثله فخسر الجميع، أضعنا أوقاتا ثمينة وتأخرنا عن غيرنا بعقود، سالت دماء ومازال الجرح غائرا لم يندمل بعد.

وها نحن نعيد نفس التجربة، بنفس خطواتها ومراحلها، لعبنا لعبة "الذر" أيام البحبوحة المالية حتى

أفلسنا ووقعنا في مأزق مالي، فخرج الشعب البارحة ليبدأ دوره كذلك في لعب لعبة "الذر" من حرق وتكسير لمنشآت الدولة وأملاكه وسرقة ونشر للفتنة وزعزعة للوضع الأمني.

لا أوافق كثيرا ممن يرجع أسباب هذه الاحتجاجات إلى أيادي داخلية أو خارجية، لكن الذي أنا متأكد منه أننا جميعا سلطة وشعبا تسيطر علينا عقلية "الذر"، ولهذا لم نوفق في بناء دولة قوية، ولم نتعلم من تجاربنا السابقة والتجارب التي نرى ونشاهد يوميا، ولم نفهم بعد أو لم نَعِ بأن لا وطن لنا ولا دولة لنا إلاّ الجزائر.

أعتقد بأن الوضع في الجزائر جد حساس، ولهذا لابد من صوت الحكمة والعقل، لأن من يرغبون في الاصطياد في المياه العكرة كثر، فهم لا يريدون الخير لا لنا ولا لبلدنا حتى ولو تحدثوا بعين الحقيقة. فالخطاب حكمة وذكاء ومسؤولية، ولا مخرج لنا إلاّ بعقلية رجولية تتشارك فيها السلطة والشعب، لأن عقلية "الذر" من الطرفين لن تبني دولة ولن يستقيم بها الوضع.

الوطن إيمان وإتقان كذلك

كثيرا ما نردد في أحاديثنا عبارة: حب الوطن من الإيمان، والحقيقة غير ذلك، فنحن فقط نخادع أنفسنا حُكّاما ومحكومين حتى نغطي عن عجزنا.. فحب الوطن إتقان وخدمة وتطوير وازدهار، ثم هو بعد هذا إيمان لمن يريد أن يعتقد بذلك.

يقال بأن في الوطن العظيم اليابان إذا تقدم مواطن إلى طبيب أو إلى مصلحة استعجالية بسبب آلام في الجسم جراء سقوط ما، فإنهم لا يفحصون مكان الألم فقط، بل يفحصون كذلك نظر هذا الشخص، فلعل سبب سقوطه يعود إلى ضعف في نظره!!.

الأحداث الأخيرة التي عرفتها بعض مناطق الوطن زادتنا معرفة بأننا سلطة وشعبا قوم تائهون جاهلون، فعوض أن نبدأ في البحث عن الأسباب الحقيقية لهذه الأزمات - عمل مثل هذا يقوم به باحثون بعيدون عن كل العصبيات من جهوية وميولات سياسية- بدأنا ننشد أغاني حب الوطن ورفع وتعليق الأعلام الوطنية على شرفات المنازل، وليس مستبعدا أن يبدأوا في بث خلال هذا الشهر أفلام حربنا ضد المستعمر الفرنسي مثل فيلم: معركة الجزائر، وفيلم: "علي موت واقف"، كما أنه ليس مستبعدا خلال اليومين القادمين أن نعيد مشاهدة

مقابلة الفريق الوطني ضد الفريق المصري في ما يسمى بمعركة أم درمان.

نحن فعلا قوم تافهون بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. تافهون لأن الماء يلعب بداخل أحذيتنا ونحن نعتقد بأنها جيدة تصلح للمشي لمسافات طويلة.. جدار بيتنا وسقفه بدأ يتشقق ونحن نطلب من الدهان أن يغطي ذلك بصباغه.. صوت الأزمة عظيم مجلجل ونحن نغطي ذلك بأناشيد حب الوطن.. رايات الفساد رفعت -خفية وعلنا- في كل مؤسسات ونحن نغطي كل ذلك بتعليق الرايات الوطنية على باب كل منزل.

لابد لنا من حكمة اليابانيين.. الذهاب إلى عمق المسائل.. لابد من معالجة الأسباب وليس النتائج.. لابد وأن نبدأ من هذا السؤال: لماذا لم تسقط يوما حكومة بسبب فشل ما؟! لماذا لم يُقال وزير أو رئيس حكومة يوما بسبب فساد أو فشل ونعلن ذلك في الإعلام؟ لماذا كل هذا الاستهتار واللعب بمستقبل الدولة والشعب من طرف أشخاص لم يكونوا يوما في مستوى المسؤولية؟!.

إن الجزائر التي نريدها ونرغبها ونطمح إليها هي جزائر المسؤول الشريف الواعي القادر، جزائر المساواة والفرص للجميع، جزائر الحريات الديمقراطية والتسيير الناجح، لا جزائر الديماغوجية ولغة الخشب والهروب إلى الأمام والاختفاء وراء: حب الوطن من الإيمان.

أنوميا المعايير السياسية

ما يحدث بيننا نحن الجزائريين اليوم من اختلافات تعدت إلى حد الشتم والسبّ والاتهام بالخيانة... هو دليل قاطع على أننا أصبحنا نفتقد إلى المعايير الصحيحة للممارسة السياسة الحقة.

فالصور التي شاهدها العام والخاص، القريب والبعيد.. صور تشمئز لها النفوس، ولا تتقبلها عقول الأسوياء.. فكيف تُسب عجوز طاعنة في السن أو أي شخص آخر لمجرد أنهم يريدون أن يعبروا عن أصواتهم في الانتخابات الرئاسية التي تقام الآن؟!

ففقدان هذه المعايير أمر خطير لابد أن تنتبه إليه الطبقة السياسية والمناضلون في الأحزاب وكل المثقفين لابد من العمل عليها حتى نرتفع إلى المستوى المطلوب لعمل سياسي يقوم على الاحترام المتبادل، وترسيخ قيم الديمقراطية وحرية الرأي ومسؤولية اتخاذ القرار.

يبدو أننا أصبحنا في هذا الوطن نفتقد إلى مجموعة كبيرة من المعايير، مست كل جوانب حياتنا، في الأسرة والمدرسة وفي كل المؤسسات، وها هي تتضح الآن بصورة واضحة في الجانب السياسي بعدما كنا نعتقد أن دروس أحداث الماضي قد علمتنا جيدًا وأننا لن نعيد الخطأ مهما حدث.

العنف لا يؤدي إلا إلى عنف مثله فقط، بل إلى عنف أكبر منه، سواء أكان لفظا أو حركة أو بأي شكل آخر ومعالجة المجتمع من أنوميا المعايير أصبح أكثر من ضرورة، فهي قبل كل شيء، قبل السياسة وقبل العملية التغييرية، لأنه بدونها ستتواصل هشاشة المجتمع وحتمًا سيعلن وفاته قصر الزمن أو طال.. فلننتبه قبل فوات الأوان.

أهلا بالحوار وبأهل الحوار

مبادرة الحوار الذي نادى بها رئيس الجمهورية الجديد السيد عبد المجيد تبون في غاية الأهمية، وهو نداء مسؤول، ينم عن رغبة الرجل الجلوس مع كل الجزائريين من أجل أفكار رئيسة للخروج أكثر من الأزمة التي تعيشها الجزائر، والمرور تدريجيا إلى برّ الأمان وبالتالي تحقيق مصلحة البلاد وتأمين مستقبل الأجيال الصاعدة.

كنت دائما أشير عبر مقالاتي في مناسبات مختلفة بأن أزمتنا الحقيقية هي أزمة حوار أولا وقبل كل شيء، أزمة الاستماع للآخر وفهم فحوى كلامه، أزمة تقبل الآخر والتعاون من أجل تحقيق الأهداف المشتركة التي تهمنا جميعا الآن أولا وقبل كل شيء، ثم الذهاب إلى التفاصيل في أوقات أخرى أكثر أمان وأنجع فائدة.

في مسألة الحوار هذه أتذكر نظرية الصراع الحديثة عند (لويس كوزر)، حيث يعتبر الصراع الذي يحدث داخل النسق الواحد، أو الخارجي الذي يحدث خارج النسق هو صمام أمان للجميع، ولا يمكن أن يحدث التوافق إلا بالحوار، فالحوار وحده فقط من يؤدي إلى وضع قواعد معيارية جديدة، يتعزز الانتماء، يحدث تضامن، يتشكل الوعي، تتأسس الهوية وبالتالي ثبات واستمرار الدولة والمجتمع.

إذن فلا حل لنا إلاّ بحوار بناء، هادئ، ومفتوح فقط أن نحسن النية، ونعد العدة وأخذ الأمور بجدية أكبر فالجزائر بلدنا ولا حل لمشاكلها إلاّ بأبنائها، كل أبنائها إلاّ من يأبى منهم.

أين الخلل؟!

من جملة الأسئلة التي تطرح كثيرا في حياتنا اليومية: أين الخلل؟. ربما يبدو سؤالا بسيطا لكنه يختصر أحداثا سلبية نعيشها، ومشاعر تذمر من واقعنا اليومي هي حقيقة ترسخت في عقولنا، ولهذا أصبحنا نرددها في مجالسنا العلمية، في المقاهي، في أماكن العمل، في شوارعنا، في بيوتنا، وفي مواقع التواصل الاجتماعي بشكل أكثر تركيزا.

أتذكر جيدًا، أن هذا النوع من الأسئلة كنا نقرأه على شكل عنوان لكتاب جذاب، أو عنوان لمقالات أكاديمية تشرح وتفصل بإسهاب ودقة ومنهجية محكمة الخلل الذي تعيشه الأمة والسبيل لحل أزماتها وخروجها من رتابة التخلف الذي تعيشه منذ عقود.

ولهذا عندما أسمع أو أقرأ هذا النوع من الأسئلة يُطرح في أماكن عامة، أو حتى بين المثقفين في مواقع التواصل الاجتماعي أنزعج قليلًا، لأن القصد هو البحث عن الحلول السريعة، بينما هو كما ذكرت سؤال كبير يتطلب أسئلة عميقة ودقيقة، تفصيلا شاملا وتدرجا في التنفيذ.

لكن، يبقى طرح هذا النوع من التساؤلات رغم ثقله وعمقه فعل إيجابي، وهو دليل على أن أفراد المجتمع بكل طبقاته واختلاف شرائحه والأدوار التي يؤديها أفراده والمكانة التي يحتلها كل فرد فيه، دليل على أننا في الطريق

الصحيح، وإنه رغم طول الطريق ومشقته وتعثرنا في بعض الأحيان في منعرج من منعرجات، إلا أن الرؤية أصبحت واضحة، ووضوحها حتمًا يحدد لنا الهدف ويدفعنا للسعي لتحقيقه... فلا بأس أن نسأل ونكثر من السؤال: أين الخلل؟!.

بسم الله الرحمان الرحيم

لا أدري ما المقصود من حذف البسملة من الكتب المدرسية؟! وهل مشكلة التربية والتعليم في الجزائر قائمة على هذه الجملة الشريفة، جملة تحوي أعظم أسماء الله؟! أم أن المقصود من نزعها هو فسخ كل الطلاسم التي باتت عائقا على تطورنا التربوي والعلمي والصناعي والحضاري ككل؟!!

كان من المفروض على الوزارة الوصية، أن تركز وهي تحاول تطوير المنظومة التعليمية -حتى تصبح ذات قيمة تعطي ثمارها كل حين للمجتمع وللوطن- على عناصرها الأساسية، مثل تطوير وتكوين الأساتذة والمعلمين، كيفية الرفع من مستوى استيعاب التلاميذ بأقل جهد، وكذا تغيير طريقة التلقين والتعليم القديمتين بطرق أخرى عصرية أكثر نجاعة، تجعل من التلميذ إلى مرحلة معينة يمكنه أن يتحدث بلغة أو لغتين بطريقة سلسة، يكتب بأسلوب جميل، يحسن الحساب وأساسيات التكنولوجيا الحديثة.

شعوري وأنا أتابع هذا الفعل، فعل من قرروا نزع البسملة من الكتب المدرسية، أنه عمل استفزازي مقصود، لا أدري ما هو الغرض منه؟!. فإذا كان الهدف هو الوصول إلى جيل لا يفهم ولا يتكلم بهذه الجملة، فهم عبثا يحاولون، بل على العكس تماما، سيزيد نطقها

وتفعيلها كما أمر ديننا الحنيف، في كل شؤون الحياة بداية من الأكل والشرب، مرورا بطلب العلم والعمل وركوب الطائرة والسيارة، وعند الطبيب والمهندس وحتى أثناء المداخلات السياسية تحت قبة البرلمان وأثناء انعقاد مجلس الحكومة، لأنه كما يقول الفيزيائيون: لكل فعل رد فعل يساويه في القوة ويُعاكسه في الاتجاه.

لقد افتتح الله عزّ وجل كل سُوَر القرآن وهو كلام الله بالبسملة، إلاّ سورة واحدة، وهي سورة التوبة، وتسمى كذلك بسورة الفاضحة، جاءت لتفضح المنافقين مثلما يقول أهل التفسير، فكانت بدايتها غضب من الله وقسوة وتخويف، لأن المقام لا يصح فيه الجمع بين البسملة وبداية السورة، فلست أدري، هل نزع البسملة من الكتب المدرسية لأننا أمام نفاق آخر معكوس، خبيث مبرمج يريد ضرب هويتنا وقطع كل علاقة للأجيال القادمة بالله وبالتالي بالدين والتدين؟ أم أننا أمام صورة -سورة الفاضحة- أخرى من صور الفضائح وكسر كل مقومات ومكتسبات هذا المجتمع والوطن حتى يُعدّ إلى حتفه الأخير؟! وفِي كلتا الحالتين الأمر عندي سيّان، فالوضع خطير، وليعلم من يديرون هذه الصراعات سواء في الداخل أو في الخارج، بأن للكعبة ربّ يحميها، وإنه من الشعب الجزائري، وإنه بسم الله الرحمان الرحيم.

بل "الموس وصل إلى الرقبة"!!

في تصريح للسيد الوزير الأول أحمد أويحيى بخصوص حديثه عن الأزمة المالية الخانقة التي تمر بها الجزائر أمام مجلس الأمة قال: بأن "الموس قد وصل إلى العظم"، لكن الحقيقة التي يعرفها العام والخاص، أعضاء البرلمان ومجلس الأمة، والسلطة برمتها، فإن المُوس قد وصل إلى الرقبة وليس فقط إلى العظم، والشعب بطبيعة الحال وكالعادة طبعا، هو الأول من سيمرر على رقبته هذا "الموس".

تمنيت لو تكرم علينا السيد الوزير الأول وواصل في حديثه وأخبرنا هل "الموس" الذي تحدث عنه، والذي وصل إلى العظم، هل هو "موس" حاد أم غير حاد، حتى نتمكن من التخمين أي جرح وأي أثر سيترك فينا هذا "الموس" في مستقبلنا القريب والبعيد؟!.

إن السلطة في الجزائر، حتى ولو بلغ سعر البترول مئات الدولارات للبرميل الواحد، وحتى ولو تجمَّع في خزينتها عشارات الآلاف من الملايير من الدولارات، فحتما ستفلس ذات يوم، وحتما سيصل "الموس" فيها إلى العظم، بل وإلى الرقبة كذلك، لأنها بكل بساطة هي سلطة فاشلة، غير ذكية، لا تحسن التصرف، لا تملك فلسفة ولا رؤيا حول الاستثمار الحقيقي، غير مؤهلة للذهاب بالوطن إلى درجات عليا وراقية في الازدهار والتقدم.

والخطأ في حقيقة الأمر ليس خطأ السلطة لوحدها فالشعب كذلك ساهم في هذا العفن الذي وصلت إليه البلاد، ورضي بأن يصل "الموس" إلى عظمه ورقبته، وذلك بسلوكاته السلبية، وبطموحاته البسيطة، وبصبره الطويل غير المبرر، وبانهزامه وخنوعه، وبتركه لساحة النشاط والدفع للتغيير والمساهمة مع الأحزاب في خلق قوة تجبر السلطة على العمل لصالحه أو أن تترك مكانها لمن هم أقدر منها عملا ومحافظة على المال العام.

إن المثال الذي جاء به الوزير الأول واصفا الأزمة المالية بأن "الموس" قد وصل إلى العظم، مثال مخيف يدخل الهلع والرعب في قلب كل فرد من أفراد الشعب لأنه بكل بساطة يذكرنا بما قبل الوئام المدني والمصالحة الوطنية، يذكرنا بالعشرية السوداء، يوم وصل حقا "الموس" إلى رقاب الكثير من الجزائريين، وليس إلى العظم فقط، فالأزمة انطلقت اقتصادية، ثم تحولت سياسية ثم أمنية، لتعيد الكرة مرة أخرى بعد عقدين من الزمن لنجد أنفسنا أمام أزمة اقتصادية، نتمنى أن لا تتفاقم وتتطور وتتشعب حتى لا تعيد "الموس" إلى رقابنا وليس إلى العظم فقط.

الحذر مطلوب، فالأزمات الاقتصادية والمالية قد تذهب بالدول وتقسمها، ولهذا فلابد أن نصدق أنفسنا وأن يساهم الجميع تحت جبهة وطنية كي نصحح ونعالج مسارنا، كل مسارنا، السياسي والاقتصادي والاجتماعي

حتى نُحوِّل مسار "الموس" من عظمنا ومن على رقابنا إلى سلاح نشق به طريقا نحو مستقبل أفضل مزدهر ومتطور.
فهل سنفعل؟!

تاريخنا في خطر

"لابد من كتابة تاريخ الجزائر قبل أن يرحل صانعوه" هي جملة كثيرا ما يرددها المثقفون والمؤرخون والسياسيون والإعلاميون في لقاءاتهم ومنتدياتهم، وتُكتبُ على الجرائد وتُذكرُ في التلفزيونات، وحتى عامة الناس يرددونها في المقاهي ويكتبونها على شبكات التواصل الاجتماعي، لكن لا حياة لمن تنادي، لم نعمل كما يجب من أجل إنجاز هذا الواجب النبيل، إلاّ ربما مجهودات فردية من بعض المهتمين لم يرق بَعدُ عملهم إلى المستوى المطلوب.

وقبل أن أتحدث وأدعو إلى ضرورة القيام بهذا الفعل الإنساني والحضاري والعلمي، لابد أن نطرح أولا هذا السؤال ونحاول الإجابة عليه بكل صدق: هل نحن واعون بأهمية كتابة تاريخنا؟ وهل نحن مدركون بأن شعبا بدون تاريخ لا حاضر ولا مستقبل له؟ وهل نحن على دراية بأن الأمة التي لا تعرف من أين أتت وماذا صنع أجدادها وكيف حققت استقلالها وكيف بنت دولتها وماذا ارتكبت من أخطاء لا يمكنها أن تعرف وتعي إلى أين هي ذاهبة ولا ماذا تريد؟!

وهذا كتاب الله، القرآن الكريم، الكتاب المقدس، جزء كبير مما جاء فيه عبارة عن قصص من سبقنا من الأمم للعِبرة والتدبر، لننظر لماذا وكيف زالوا واندثروا، لنتعلم مما حدث لهم، أوليس التاريخ للتدبر والتعلم والتبصّر؟!

ولهذا، فكتابة تاريخ الجزائر المعاصر، بحلوه ومرّه ضرورة وفريضة، لابد أن يكون مطلب الجميع، وبأوامر من جهات مسؤولة في السلطة، كما لابد أن يُؤسس مجلس أعلى لكتابة التاريخ بقرار من المسؤول الأول على البلاد مثلما هو عليه الشأن فيما يخص اللغة العربية واللغة الأمازيغية.

إن تاريخنا يختفي يوما بعد يوم بوفاة من صنعوه وذهاب هذه الصفحات سواء بتقصير من المثقفين أو بسكوت من عاشوها وسطروها بتضحياتهم هي خسارة ما بعدها خسارة.

إن بوفاة من صنعوا تاريخنا مضطرون لكي نبكي بكاءين، نبكي على فقدانهم ونبكي على فقدان جزء من تاريخنا ومن ذاكرتنا، وقد عشنا مؤخرا هذا الحزن والألم بوفاة المناضل الوطني محمد الصالح يحياوي وقبله العقيد أحمد بن شريف، فبكيناهما وبكينا على ما رحل معهما من أسرار وحقائق.

لابد من دق ناقوس الخطر، والتحرك في كل الاتجاهات حتى نلحق على ما تبقى وننقذ ما يمكن إنقاذه فالتاريخ ملك لكل الشعب، لا يحق لأحد أن يمنعنا من معرفته، فلم يعد لا الوقت ولا الظروف في صالحنا وشكرا لكل من يسعى جاهدا لتنظيم لقاءات وندوات ولَم شمل الفاعلين حتى نعلم نحن جيل الاستقلال ولو

اليسير، ما كان وعلى ما كانوا شهودا عليه، وهذا أضعف الإيمان.

ثقافة المخاطر

كتب عالم الاجتماع الألماني (أولريش بيك) كتابا مهما عنوانه: مجتمع المخاطر العالمي، يبحث فيه عن الأمان المفقود في العالم، يشير فيه إلى أن الخطر قد يبدأ في دولة أو مجتمع ما، فتصل نتائجه إلى دولة أو مجتمع آخر، وأن الدولة القوية، من حوادث قد تبدو بسيطة وقد لا ينتبه لها حتى الإعلام تحدث في دول ومجتمعات بعيدة عنها، تدفعها إلى تغيير قوانين أو فرض أخرى، مثلما يحدث تقريبا بشكل متسارع مع شركات الطيران، لمنع حدوث أي عمل إرهابي.

والشعوب التي تنتمي إلى الدول المتقدمة تتميز بثقافة المخاطر، سواء المخاطر التي قد تصيب الإنسان أو الحيوان أو حتى الأشياء، سواء مخاطر مادية أو ثقافية والفضل طبعا يعود في ذلك إلى العمل الدؤوب والمستمر الذي يقوم به المختصون عندهم، في الاجتماع والنفس والسياسة والثقافة والإعلام والبيئة والمناخ.. الخ، فمكاتب الدراسات لا تتوقف عن دراسة كل جزئية تخص المجتمع، من أجل الاستعداد لتغيرات المستقبل.

في الجزائر نحن في حاجة ماسة ليس فقط إلى مكاتب دراسات وإنما قبل ذلك إلى ثقافة المخاطر، أن يتعلم المجتمع كيف تكون له "قرون استشعار" قوية لمجابهة المخاطر، ليس فقط من الناحية الأمنية، وإنما كذلك من

الناحية الثقافية والحضارية، من ناحية التراث والتقاليد حتى لا تتضرر وحتى لا تزول مع مرور السنين.

مشاركة الشاب "ريفكا" على ركح قاعة الزينيت بمدينة قسنطينة، وتنظيم حفل له، ليقدم للشباب تهريجا، قفزا وصراخا وعشوائية وكلاما فارغا، وفي المقابل نبعد قامات كبيرة، هو نوع من أنواع قتل ثقافة المخاطر، لأننا نصنع جيلا لا يفرق بين الغث والسمين، بين الصالح والطالح وفِي هذا خطر كبير على المجتمع برمته.

لست أبدا ضد المواهب، بل أشجع كل المواهب، كل من يقدم الجديد، وأدعو لفتح الأبواب أمام الشباب الصاعد، لكن في نفس الوقت، لا يمكن أن أقبل أن تُلتهم ثقافتنا الأصيلة وترمى جانبا، لا أقبل أن يُحطّم المجتمع فنيّا وثقافيا، لأن في هذا خطر كبير على المجتمع وعلى الدولة، ولهذا لابد لوزارة الثقافة أن تكون لها ثقافة: ثقافة المخاطر. فما يخطط لنا لضرب هويتنا وثقافتنا وتراثنا وأخلاقنا خطير جدا، يستدعي مخططا استعجاليا أوله نشر ثقافة المخاطر وبدايته من وزارة الثقافة.

ثقافة الوقاية!!

معظمنا يردد وكلنا يسمع هذه الجملة؛ الوقاية خير من العلاج، لكن القليل يدرك قيمتها، ويستوعب معناها ويفكر في مدلولاتها. الوقاية خير من العلاج جملة بنيت عليها فلسفة.. طريقة عيش وثقافة جادة.. رفعت أمما وأنزلت أخرى.. أغنت دولا وأفقرت أخرى.

نظرية الوقاية خير من العلاج، إن صح لي أن أقول ذلك، ثقافة ترسخها الدول التي تحترم نفسها منذ اللحظة التي يلد فيها أطفالها، بل وقبل ذلك، عندما يكون الطفل في بطن أمه، لا تأكل أي طعام، ولا تشرب أي شراب، ولا تتناول أي دواء دون تصريح من طبيب مختص.. كل هذا من أجل مولود سليم العقل والبدن، لأنه أقل علة يلد بها المولود هي ميزانية إضافية على كاهل الدولة.

وهكذا، يكبر الطفل، وتكبر معه ثقافة الوقاية خير من العلاج، فلا يأكل إلاّ إذا غسل يديه، يختار بعناية ما يدخل إلى جوفه من أكل وشرب، يحسن اختيار أماكن اللعب والجلوس، وعندما يكبر إذا ما أصابه زكام أو أي مرض معدي يقعد في بيته، يعتذر عن الذهاب إلى العمل أو الدراسة حتى لا يتسبب في إصابة زملائه بمثل ما أصيب به.. إنه الوعي، إنها ثقافة الوقاية خير من العلاج.

عندنا للأسف الشديد، لا نعطي اهتماما بالغا لثقافة الوقاية، نفكر في العلاج أكثر، ليس قبله أبدا، فنتعامل بهمجية مع أنفسنا ومع غيرنا.

لننظر إلى مدارسنا وجامعاتنا، لننظر لبيوت الخلاء فيها، هل وسائل الوقاية متوفرة أم منعدمة بتاتا؟ هل يغسل التلاميذ والطلبة أيديهم بعد الخروج من بيت الحمام؟ وحتى في مساجدنا، أوليس قطع الصابون يتداول عليها المئات بعد خروجهم من المراحيض!!

ما يحدث في هذه الأيام من انتشار لبكتيريا الكوليرا هو من صنع أيدينا ومن عقلياتنا المستهترة، لأننا لا نملك ثقافة الوقاية، لا نفكر في أن نحمي أنفسنا فما بالنا بغيرنا، لا ننظف خارج بيوتنا، نرمي القمامة في كل مكان لا نعطي أدنى قيمة لبيئتنا.. نسيء لأنفسنا ولغيرنا ونضحك العالم علينا.

لننظر فقط في المطاعم عندما نذهب لنأكل، لنحصي كم عدد من يغسلون أيديهم، وكم عدد من يتبولون ولا يغسلون أيديهم، ثم نتصافح ونسلم على بعضنا ونتبادل بفرح وسرور قطعة الخبز بيننا، أليس كذلك!!

ربما الصراحة جارحة، تزعج البعض، لكن لنقولها بكل شجاعة: إننا بعيدون كل البعد عن ثقافة الوقاية خير من العلاج، وقريبون جدا من ثقافة العلاج قبل الوقاية.. كم نحن مختلفون، ولهذا فما يحدث لنا هو منا من صنع أيدينا، فلا نلم إلاّ أنفسنا.

ثقافة المقاطعة

المقاطعة ثقافة تتميز بها كثيرا الشعوب الواعية، مثل مقاطعة سلع الشركات ذات منتوجات مغشوشة أو الوكالات التي تقدم الخدمات لسبب من الأسباب، مثل التهرب الضريبي أو الفساد.. الخ، وتتوسع هذه الثقافة حتى في المجال السياسي ومجالات الدفاع عن الحريات وحقوق المواطنين، فتُقَاطع الانتخابات إذا ما تحتم الأمر سواء المحلية أو البرلمانية أو الرئاسية.

في الجزائر تكاد تنعدم هذه الثقافة، فمهما ما يحدث من زيادات متتالية في أسعار السلع إلاّ وتجد المواطن يسرع ويهرول من أجل اقتنائها، قد يضجر من ذلك لبعض الوقت، إلاّ أنه يواصل في شرائها حتى ولو تحتم عليه الأمر دفع أضعاف ثمنها الأصلي.

والمجال الوحيد الذي اتفق فيه أغلبية الجزائريين دون قصد منهم على المقاطعة، هي مقاطعة الانتخابات بكل أشكالها، لا أعتقد بأن مرد ذلك إلى وعي سياسي من أجل الاحتجاج على أمر ما، ولكن بسبب الانتكاسات الحاصلة منذ زمن، بسببها جعلت المواطن يفقد الثقة في اللعبة السياسية برمتها.

ثقافة المقاطعة مهمة جدا، سواء على المستوى الجماعي أو الفردي، بها نحدث التوازن ونرفع الاستغلال ونضع حدا للبطون الجشعة التي لا تطلب إلاّ الربح، بها

يمكن السيطرة وخلق ردود أفعال تجعل الطرف الآخر يعيد حساباته قبل رسم أي سياسة اجتماعية أو اقتصادية.

وهذه الثقافة يمكن بناؤها وغرسها في المجتمع، حتى تصبح ميزة خاصة به، وسلاحا بتارا يخرجه في وقته للدفاع عن نفسه. وما يحدث هذه الأيام من دعوة لمقاطعة شراء السيارات بسبب غلائها الفاحش، هي فكرة في الطريق السليم، كثقافة لابد للمواطن أن يتحلى بها أتمنى أن تشمل كل المجالات خاصة الاقتصادية منها.

إن الشعوب التي تتفق على مقاطعة أي منتوج وتدفع لذلك بكل قوة هي حتما شعوب واعية، نظمت نفسها من أجل الدفاع عن حقها، نمّت في ذاتها روح التغلب على أي منتوج مهما كان ضروريا في حياتها، استطاعت السيطرة على نفسها ضد أي إغراء حتى ولو ملك أغلبية المواطنين الثمن لشرائه، ثقافة المقاطعة ثقافة راقية، فهل نسير نحن الجزائريين نحو امتلاكها وبالتالي توسيعها في كل شؤون حياتنا؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون زوبعة في فنجان؟!.

حالنا ليس على ما يرام

حضرت محاضرة لأستاذ جامعي كان عنوانها: النظريات السوسيولوجية الحديثة وقضايا الأمة الراهنة لكن للأسف، كانت خيبة أمل كبيرة، ضاع لي من الوقت ما يتعدى ساعة من الزمن دون أن أستفيد شيئا جديدا ودون أن تجيب المحاضرة على الأسئلة التي سجلها عقلي عند قراءة العنوان.

الأستاذ المحاضر تحدث في كل شيء إلاّ عن هذه النظريات وحاجة المجتمع الجزائري إليها، تحدث عن الصلاة وعن أركان الإيمان عن الحجاب وعن تعدد الزوجات.. تحدث في بعض المسائل اللغوية والمصطلحات الفقهية، ولَم يتحدث في شيء عن واقعنا المرّ الذي نعيشه.

ومن عجائب خرجاته لدرجة أني ضحكت بعض الشيء والتي لم أَجِد لها مخرجا ولا مدخلا ولا علاقة عندما قال: لقد قرأت عن عالم الاجتماع "سان سيمون" ووجدته ديوثا -ماشي راجل- لأنه سلّم زوجته لصديقه كي يجامعها، كما ربط هذا بنوعية الغذاء الذي تتناوله الشعوب، فأعاد ما قاله ابن خلدون رحمه الله سابقا على أن العرب صبورين لأنهم يأكلون لحم الجمل، وأن الأتراك مقدامين لأنهم يأكلون لحم الفرس وأن الغرب ديوثين لأنهم يأكلون لحم الخنزير!!.

كانت المحاضرة بالنسبة لي كارثة ما بعدها كارثة، فاقت كوارث الفساد وكوارث الفياضانات وكوارث ما يحدث في المجلس الشعبي الوطني، قلت في نفسي: هذا حالنا، وهذا واقعنا، مشكلتنا لم تعد فقط في أننا لم نقدر على وضع حلول لمشكلاتنا وإنما كذلك لم نعد نقدر حتى على وصفها والحديث عنها وربط ما نحمل من أفكار على واقعنا.

حالنا للأسف ليس على ما يرام، وأهم إشكالية فيما وصلنا إليه وأوصلنا إليه حالنا أننا لم نجد بعد المسار السليم والطريق الصحيح اللذين يجب اتباعهما من أجل النجاة من هذا الضياع المقصود والمفروض.

تمنيت من الأستاذ الكريم، ومن كل الأساتذة والمثقفين كل في مجاله وتخصصه، أن يعملوا على ربط العلوم بالواقع، مناقشة النظريات وطرح الأسئلة الحقيقية والدقيقة حتى يتشكل الوعي كما وكيفا لإحداث التغيير وللخروج من هذه الحالة المزرية التي نحن فيها، وبدون هذا الفعل وهذا العمل سيبقى حالنا هكذا أبد الدهر لن نتقدم، لن نتطور، بل على العكس سنزداد تخلفا، وتزداد مشاكلنا وصراعاتنا تفاقما، ويكون المؤلم في كل هذا والذي سيزيدنا حسرة أن المثقف والعالم والخبير وغيرهم هم أحد أسباب كوارثنا وجزء فاعل في هذه الفوضى الخلاقة التي نعيش. حالنا ليس على ما يرام يا عالَم ويا عالِم!.

حتى لا يضيع شبابنا

إن مستقبل الأجيال القادمة هو مسؤوليتنا جميعا مسؤولية كل المؤسسات المكونة لهذا المجتمع، بداية من مؤسسة الأسرة ومؤسسات الدولة بمختلف تخصصاتها وصولا إلى مؤسسات المجتمع المدني، خاصة تلك التي تعمل على إدماج وتوعية الشباب والسهر على حل مشكلاتهم اليومية بما في ذلك مشكلة الانحراف.

اخترت أن أتناول هذه الفكرة، وذلك بسبب الحفل الذي أقيم البارحة على أرض جمهورية مصر العربية لاختيار أحسن لاعب إفريقي وأحسن مدرب ومنتخب إفريقي، وقد فرحت وسعدت كثيرا بفوز اللاعب الجزائري يوسف بلايلي بجائزة أحسن لاعب محلي.

فرحت ليوسف كثيرا، ليس بسبب اللقب الذي تحصل عليه في حد ذاته، لكن لأن هذا اللاعب كان قبل سنوات قليلة ماضية في مستنقع المخدرات، وهو انحراف كاد أن يقضي عليه نهائيا.

ولكن بسبب المحيطين به، وأنا متأكد أن مؤسسة الأسرة على رأسهم، وبسبب مؤسسات أخرى، ونصح الناصحين والأخيار من الأصدقاء وثقة المدرب.. ها هو يوسف ينال شرف هذا اللقب، وشرف الانتصار على آفة المخدرات.

ولنا أن نسأل، كم هناك من أمثال يوسف بلايلي في مجتمعنا يمكننا أن ننقذ؟ كم منهم من ينتظرون من يلتفت إليهم، ويقدم لهم النصح، ويضعهم على السكة الصحيحة؟.

حتما العديد منهم سيكونون مثل يوسف في مجالات مختلفة، فما علينا إذن إلاّ أن نفعّل مؤسسات المجتمع في صالح الشباب، حتى لا يضيعوا منّا ويضيع منهم مستقبلهم.

رحلتي مع الشيخ الغزالي

تمر علينا في هذه الأيام ذكرى وفاة العلامة الجليل الشيخ محمد الغزالي.. مفكر وكاتب وداعية إسلامي من الطراز الرفيع.. فهم الإسلام فهمًا عميقا وطرحه من خلال كتبه ودروسه بشكل مبسط ودقيق، يرفع الهمم ويدفع بالمسلم دفعا لبناء هذه الحياة، وحتى يجعل من دينه وقودا ومحركا نفاثا من أجل بناء حضارة قوية تستمد هواءها من روح الدين الإسلامي الصحيح، وليس من الشعوذة التي ألبست بالإسلام عن قصد أولا وعن جهالة من المنتمين إليه والمدافعين عنه ثانيا.

بدأت رحلتي مع هذا العالم الجليل منذ كنت أدرس في المتوسط، حيث كانت مكتبة البصائر المتواجدة في القصبة بقسنطينة -مغلقة الآن للأسف- هي مزاري الذي لم أملّ منه يوما، كانت زيارتي لها ثلاث إلى أربع مرات في الأسبوع.

قرأت حينها العديد من الكتب، ومازلت لغاية هذه اللحظة أعود لقراءة بعضها، فتعلمت من الرجل عمق الفكرة، شمولية التفكير، هدوء الأسلوب، وذكاء لا نظير له في معالجة قضايا الأمة وفي نقده ونظرته للحضارة الغربية.

من أجمل ما قرأت للشيخ الغزالي رحمه الله والذي غيّر حقيقة في نفسي أشياء كثيرة كتابه الرائع الذي أعتقد أنه

لم يطبع إلاّ طبعة واحدة: السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث. هذا الكتاب غيّر نظرتي للدين وللعالم وصحح مفاهيم كثيرة في عقلي، كما أنه سبب لي مشاكلة في ذلك الوقت مع بعض الأصدقاء، عندما كنا نتناقش في مسائل الدين والمجتمع.

ومن أجمل كتبه التي قرأتها وأعدت قراءتها العديد من المرات كتابه العظيم: جدد حياتك، هذا الكتاب الذي أنصح به كل شاب.. لابد وأن يُقرأ.. وكذا كتابه فقه السنة الذي أعود إليه في بعض الأحيان، فأنتفع بحكمة منه وأفز بفتح منه في قضية ما من القضايا التي مرّت في تاريخنا الإسلامي.

كان الشيخ محمد الغزالي عقلانيا في طرحه وفي تفكيره، مدركا وواعيا لقضايا أمته، ولهذا حارب كثيرا التقاليد البالية التي أصبحت في مجتمعاتنا جزء لا يتجزأ من الدين، بل أصبحت هي الدين نفسه، حارب المفاهيم الطوبائية التي انتشرت بشكل رهيب في مفاهيم المسلمين عن الإسلام، مؤكدا في معظم طروحاته على أن الإسلام دين ودنيا.. عمل وعبادة.. ممارسة بالعقل وذكر باللسان.

كما حاول بإصرار من خلاله كتاباته ودروسه أن يبعد المسلمين عن المعارك المهلية التي تزيد في سقوطهم، فأنكر أن يهتم المسلمون بمواضيع ما يسمى بعلاقة الإنس بالجن، وبدخول الجني جسد الإنسي، والسحر والشعوذة

وكثرة الاهتمام بأمور الغيب التي تدفع المسلم دفعا للعيش على هامش الحياة.

لقد دعا إلى منهج ونظرية اجتماعية ذكية جدا، يمكن أن نبني من خلالها فردا قويا ومجتمعا متماسكا، فرد قوي بأخلاقه وبدينه وبالإيجابية التي يُولدها إيمانه ومجتمع متماسك بما يطلبه منه دينه وبما تستقيم به حياته وبما يساهم في ازدهاره وتقدمه ووقوفه شامخ الرأس بين المجتمعات الأخرى، فرحمة الله على هذا العالم الجليل، فكم نحن في حاجة هذه الأيام إلى العودة إلى أفكاره وإلى مفاهيمه، ربما يستقيم حالنا ونخرج من عفن السياسة والاقتصاد والتخلف العلمي والتراجع التربوي الذي نعيشه.

رسالة إلى الراسبين في شهادة البكالوريا

إنه من الإحسان أن نتوجه بأحر التهاني وأطيب التماني للناجحين والناجحات في شهادة البكالوريا.. نهئ تلامذتنا الأعزاء لأنهم هم مستقبل الوطن.. وهم الركيزة الأساسية التي تبنى عليها آمالنا لغد مشرق.. الناجحون والناجحات هم صانعوا حياتنا ومستقبلنا.. هم الفرحة والذخر الذي ننشد ونتمنى في كل مجالات حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والسياسية والثقافية والرياضية.

كما أنه من العدل أن نتوجه للراسبين والراسبات بكل مشاعر المواساة ومقاسمتهم الشعور بالألم.. فالذي يؤلمهم يؤلمنا والذي يحزنهم يحزننا.. فهم كذلك مستقبل هذا الوطن.. وهم كذلك آمالنا وعشقنا للتطور والنهوض بالوطن.. لكن نقول لهم: قدر الله وما شاء فعل ولكم منّا هذه النصائح نتمنى أن تجد عندكم آذانا صاغية وقلوبا واعية.

إن عدم النجاح في نيل شهادة البكالوريا أو في الدراسة عموما ليس نهاية العالم.. بل هو مجرد إخفاق في حلقة من حلقات هذه الحياة المتشعبة والعسيرة.. هو مجرد حلقة من مجموع حلقات عديدة وكثيرة تتطلب منك أخي التلميذ وأختي التلميذة مواصلة الجهد والاجتهاد وعدم فتح الأبواب للفشل والقنوط من التسرب إلى نفسيتكم أو إلى قلبكم.. لابد وأن تحذروا من القنوط فهو السلاح

الفتاك لإبليس اللعين.. فعن طريقه يرمي بكم إلى التهلكة وإلى الضياع.. عن طريقه تصبحون صيدا سهلا لأهل السوء والمتربصين ولقناصي الفرص للزج بكم في طريق موحش مسود.. طريق الانحراف والمخدرات.. طريق له بداية وليس له نهاية.. بدايته ليس هي فشلك في نيل شهادة البكالوريا ولكن بدايته يوم تستسلم للقنوط وترمي جانبا سلاح المقاومة والتحدي.

إياكم إخواني التلاميذ والاعتقاد بأن برسوبكم هذا أن المجتمع والوطن لم يعودا في حاجة إليكم.. بل العكس هو الصحيح.. المجتمع والوطن في حاجة لكل أبنائهم.. المهم هو أن تبحثوا عن ما يمكن وما تستطيعون تقديمه.. فالخيارات عديدة وكثيرة.. فإما الاجتهاد والجد والعمل وإعادة الامتحان في السنة المقبلة.. وإما الذهاب لمراكز التكوين المهني وتعلم صناعة تحققون بها رغباتكم وتبنون بها مستقبلكم.. وإما التفكير في عمل تجاري يعود عليكم بالفائدة وعلى مجتمعكم.. فالحمد لله لكم الآن مستوى دراسي يسمح لكم بالتفكير المنطقي والحساب الصحيح والتربية التي هي حصنكم في هذه الحياة.

وقبل كل هذا لابد من راحة جميلة هادئة في هذه الصائفة.. تلتقطون من خلالها أنفاسا نقية وتعيدون من خلالها صفاء الذهن وطرد التوتر والقلق والحزن.. حاولوا في هذه الصائفة قراءة قصص عن حياة رجال ونساء رسبوا في التحصيل العلمي لكنهم آمنوا بالله وبأنفسهم

فأصبحوا كتابا كبارا وأصبحوا رجال أعمال مشهورين وأصبحوا قيادات في الجمعيات المدنية وفنانين سنمائيين يشاروا إليهم بالبنان.

إن الذي أتحدث عنه أعزائي التلاميذ ليس من قبيل المواساة فقط.. لكنها حقائق ماثلة للعيان موجودة عبر كل ربوع العالم.. وسر نجاح هؤلاء أنهم فقط كانوا يعلمون ما يريدون ولم يتركوا القنوط يتسلل إليهم.

إياكم إخواني التلاميذ من أن تكرهوا أنفسكم أو تنتقموا من ذواتكم ومن مجتمعكم.. إياكم أن تحذوا حذو من سمعنا عنهم بأنهم انتحروا بسبب شهادة البكالوريا.. أو أولئك الذين سلكوا طريق الانحراف والمخدرات.. فتلكم والله هي الطامة الكبرى وهو الضياع بعينه يمس عائلاتكم وأمهاتكم وآبائكم ومجتمعكم وتصيبكم اللعنة إلى يوم الدين.

إن الإيمان بأنفسكم هو نجاحكم في المستقبل.. قدموا ما تستطيعون تقديمه في هذه الحياة وتركوا النتيجة والجزاء والاختيار لله.. فالنجاح الأكبر هو أن يكون الإنسان صالحا في مجتمعه.. قادرا على تأسيس أسرة سعيدة.. يرزق بأطفال يربيهم على الخلق الحسن وعلى حب العلم والعمل.. فالخيارات في هذه الحياة عديدة متعددة وحب الحياة وصناعتها أحد هذه الخيارات.

تذكروا دائما أعزاء التلاميذ بأنكم لم تفشلوا وإنما هو إخفاق بسيط في حلقة من حياة جد قصيرة.. استدركوا

هذا الإخفاق بعمل وجهد مضاعف.. وبالمطالعة المستمرة التي سترونا من خلالها سعة مجالات النجاح.. ولا تسمعوا أبدا لمن يروج بأن البكالوريا هي باب لضمان المستقبل.. فالمستقبل علمه عند الله.. وما علينا نحن عباده إلاّ تقديم الأسباب.. وكل منّا ميسر لما خلق له.. وسنفرح ونهنئكم بحول الله في السنة القادمة.. وتمنياتي لكم عطلة صيفية ممتازة.. تعودون بعدها أكثر ثقة وأشد عزيمة وأقوى إرادة.

سقوط باستيل الجزائر!!

يعتبر توقيف رؤوس العصابة قبل أيام، وإحالتهم إلى المحكمة العسكرية، حدث عظيم لا يقل رمزية عن سقوط سجن الباستيل يوم 14 جويلية سنة 1789 وشرارة قوية لاندلاع الثورة الفرنسية الشهيرة، التي لم تغير فقط وجه فرنسا وإنما غيرت وأشعت بنورها على كل العالم الأوروبي المسيحي في ذلك الوقت.

لقد أُنتهي من بناء سجن الباستيل سنة 1383، كان حصنا منيعا لحماية مدينة باريس، ثم أصبح بعد ذلك سجنا للمعارضين السياسيين وأصحاب الرأي والمحرضين ضد الدولة، فكان بمثابة رمز للطغيان والظلم والقهر وكل أنواع الترهيب والتخويف.

ورغم أن يوم سقوطه لم يكن بداخله من السجناء - حسب كتب التاريخ- إلاّ سبعة أنفار، إلاّ أن اقتحام هذا السجن وتحرير من كانوا فيه، ثم استخراج الأسلحة التي كانت بداخله وتوزيعها على الثوار يوم 14 جويلية كان حدثا عظيما ودافعا معنويا لا مثيل له لمواصلة الثورة. وبعد انتصار الثورة أصبح يوم 14 جويلية من كل عام عيد فرنسا الوطني، يوما يحتفل فيه الفرنسيون بسقوط الظلم والطغيان.

قلت: إن سقوط العصابة حدث شبيه بسقوط هذا السجن، هو سقوط للظلم والفساد، هو انتصار

للمظلومين، هو "المنجل" الذي سيقطع أذرع أخطبوط خطير التهم الكثير، شبكة علاقات ومصالح وتجاوزات في حق العباد ومؤسسات الدولة بل وفي حق الدولة نفسها.

إن سقوط هؤلاء، وآخرين سيلحقون بهم، هي بداية تطهير مؤسسات الدولة من الفاسدين وإعادة ترتيبها كي تُسيّر بالقانون والدستور وليس بالهاتف وإعطاء الأوامر.

نأمل ونحن في شهر الأمل والخير، أن تكون هذه المحاكمات التي أوجعت بعض من هم في الداخل والخارج بشائر خير على الوطن، أن يستعيد المواطن حقوقه ودولته، أن يختار ممثليه بكل إرادة وحرية، وأن يكون هذا الحراك البداية الحقيقية لبناء دولة القانون والمساواة والحقوق والواجبات، دولة لا ترهيب ولا تخويف فيها، ولا ربّ فيها إلاّ الذي خلق ورزق.

سياسة الكتاكيت!!

الأحزاب السياسية في الآونة الأخيرة، أصبحت تشبه في تحركاتها صغار الدجاج، تحرك بعض عناصرها في كل مكان وفي كل اتجاه، تصيح، تنقر الأرض هنا وهناك، دون هدف ولا أثر واضح ولا دقة في عملها.!!

العمل الوحيد الآن الظاهر في الساحة السياسية لهذه الأحزاب، أنها ترسل "كتاكيتها" إلى الإعلام المرئي والمسموع وحتى عن طريق الكتابة في الصحف وفي مواقع التواصل الاجتماعي، لكي تجدد خطابها الجديد القديم حول فشل السلطة، غياب تنمية حقيقية، انتشار الفساد، أسباب الهجرة الشرعية منها وغير الشرعية.. الخ، ويزيد نقر هذه الكتاكيت للأرض كلما ظهرت احتجاجات اجتماعية هنا وهناك أو تصريح سياسي غريب من مسؤول أو وزير أو رئيس حزب من أحزاب الموالاة، ففي مثل هذه الحالات تنتعش هذه الكتاكيت أكثر، تهيج، تنتشر في كل مكان، في التلفزيونات وعلى الجرائد من أجل إعادة نفس الكلام ونفس الأسطوانة على مسامع المواطن المنهك، وركوب موجة الاحتجاجات قدر المستطاع، حتى تظهر بمظهر المدافعة عن حقوق الطبقات الاجتماعية المختلفة.

الأحزاب السياسية بما فيها الإسلامية التي تعرف بالجدية، فشلت فشلا ذريعا على المستوى السياسي من أجل تقديم بديل حقيقي مقنع يحرج السلطة، يجمع من

حولها السواد الأعظم من الشعب، فشلت في بعث اقتراحات جديدة، وطرح مبادرات سياسية أخرى، حتى تقيم الحجة أكثر، وتدفع بصنّاع القرار إلى النظر حولهم حتى لا ينسوا أنفسهم، أو يعتقدوا أنهم وحدهم فقط المتواجدون على الساحة السياسية.

المعارضة في هذه السنوات أصبحت تعاني كثيرا، جراء الخطاب الهش والعنيف أحيانا، فلا هذا يفرح ولا ذاك يغري، وجراء خيارات سياسية خاطئة لم تكن في حقيقة الأمر إلاّ ردود أفعال أكثر منها قناعات حقيقية تتسم بالهدوء والرزانة وبعد النظر، مبنية على دراسات واقعية علمية.

في رأيي الشخصي، بمثل هذه الأحزاب الموجودة في الساحة لا أمل في التغيير في الوقت الراهن، وأن سياسة تحريك "الكتاكيت" التي تنتهجها خاصة الأحزاب الإسلامية، لن تجدي نفعا، فليس هذا من يزحزح السلطة عن مكانها، أو يجمع حولها أغلبية الشعب، فالذئاب كثر والمكان مظلم، زادها إغلاق هذه الأحزاب على نفسها ظلمات فوق ظلمات، فلا رؤية ولا وضوح للأفق ولا استراتيجية، الكل واقف ينتظر ماذا سيحدث بعد هذه "الحيحوحة" التي طالت الجميع.

شباب الجزائر والأفكار الهدامة

كتبت قبل أشهر مقالا كان عنوانه على ما أذكر صناعة اليأس.. وقلت فيه بأن هناك أشخاص في هذه الحياة متخصصون في صناعة كل ما هو سلبي.. كل ما يدفع بالإنسان إلى الموت والانتحار واليأس والقنوط.

ولهؤلاء الأشخاص سبل ووسائل عظيمة تساعدهم على فعل ذلك.. هذا علاوة على قدراتهم العقلية والنفسية التي يمتازون بها مقارنة بالآخرين ممن يسعون لصناعة الأمل والحياة!!.

ومن أهم ما أصبح يركز عليه هؤلاء منذ أزيد من عقدين هو إدخال الشك والكره في قلوب الشباب خاصة في المسائل ذات القيمة الكبيرة.. مثل الاعتقاد بأن النجاح لا يمكن أن يحدث إلاّ في الدول الغربية.. ومن ثَم إدخال كره الوطن في قلوب اليائسين وجعلهم يعتقدون بأن الوطن هو فقط للعمل ولضمان المستقبل وللنجاحات.. أما الوطن الذي يجمعنا كلنا كأمة لها تاريخها وتقاليدها وثوابتها دون مصلحة فهو وطن غير موجود.. فهم يسعون بكل طاقة وجهد من أجل نزع واقتلاع هذه المفاهيم من فكر وإحساس وقلوب الشباب.

ومن أهم الخطط البائسة التي يسعى هؤلاء لنشرها وجعل شبابنا يعتقدون اعتقادا جازما بصحتها ما يتداول في الوقت الراهن على صفحات مواقع التواصل

الإجتماعي، مثل قولهم: لا تتزوج، اجمع المال وسافر. ودون التعمق في الحديث عن مصدر هذه الفكرة التي تعود للادينيين وأصحاب أرحام تدفع وأرض تبلع وأصحاب لا إله والحياة مادة.. فإن هدفهم من خلالها ليس فقط أن تتمتع بالحياة مثلما يظهر من القراءة الأولى لهذه المقولة.. وإنما الهدف لا تجعل لنفسك أي ارتباط بيولوجي أو عائلي حتى تسهل عملية ترك الوطن وعدم التفكير بالرجوع إليه يوما ما.

والمصيبة الأكبر، ونحن نقرأ ونرى الانتشار الواسع لمثل هذه الأفكار السامة التي يتلقفها الشباب ما دون العشرين سنة وغيرهم، أن كل الظروف مواتية لنجاحها وإقناع الشباب بها.. فلا برامج قوية من الحكومة من أجل إيجاد وتوفير مناصب شغل ولا سياسة حقيقية من أجل التكفل الدائم بالشباب والاعتناء بمشاكلهم الحقيقية.. ولا برامج اقتصادية تعطي الأمل لِغَد أفضل.. ولا وعي كبير من الأسر لوضع حد لهذه العنوسة التي تزداد وتتفاقم يوما بعد يوم.

ومن خلال ملاحظتي ومعرفتي بعقلية الشباب الجزائري عموما أنه يملك شخصية تتأثر سريعا بأي صرخة تأتيه من هنا أو هناك.. فشبابنا له قابلية عظيمة في تبني أي فكرة جديدة تأتي من الشرق أو من الغرب.. المهم أن تكون هذه الفكرة معبرة عن ما يجول في أعناقه وعلاجا

لبعض آلامه وتعبر حقا عن رغباته وتجعله ينتقم من المجتمع ولو لفترة قصيرة من الزمن.

وأمام الغياب التام للوازع الديني وللبرامج التربوية المدروسة وأمام هذا الانتشار الواسع للشبكة العنكبوتية فإنني يمكن القول بأن شبابنا في خطر وأن الأفكار الهدامة أصبحت تحيط بهم من كل جانب وأن جميع الظروف أصبحت مهيئة لكي تَفتكَ بهم وترمي بهم في سلة المهالك.

والمقصود من كل هذا هو الوطن.. حتى يسهل إضعافه أكثر وحتى يسهل تنفيذ كل الخطط الجاهزة بسلاسة ودون ضجة كبيرة.

إن الوطن لا يُحْمَى فقط بعدد الجنود وبالعتاد العسكري المتطور واليقظة العسكرية الدائمة.. فأكبر حام للوطن هو وعي الشباب برسالته ودوره.. أكبر حارس للوطن هو بناء جيل متكامل التربية.. تعطى له الفرصة في التكوين والدراسة والعمل وفي بناء أسرة قوية متماسكة.. جيل يتزوج من بنت بلده.. يجمع المال ويسافر ليرى صُنع الله.. يعود إلى وطنه.. عليه يحيا وعليه يموت.. وفي سبيله يجاهد ويبدع ويتصدى لكل من يريد به سوء.. جيل لا تخدعه أي فكرة ولا يرتمي في حضن أي منها مهما ضاقت به السبل وصعبت عليه المسالك.

شباب الجزائر.. إلى أين؟!

أتساءل بكل صدق، وأنا أرغب في فهم ظاهرة الهجرة غير الشرعية للضفة الشمالية، بواسطة قوارب مهترئة مما يجعل غرقها بمن عليها أمرا محتملا جدا إن لم أقل محتوما، هل ما يدفع الشباب لخوض هذه المغامرة الخطيرة، قضية حياة أو موت، هو فعلا الجانب الاقتصادي الذي يتمثل في مظاهر الفقر والعوز والحاجة؟!.

وعند التحقق من بعض الحالات حسب الإعلام، نقف عند نقطة مهمة، وهي أن هناك من يغامر بنفسه وحالته الاقتصادية حسنة، هذا إن لم نقل أنها جيدة!!.

مشهد آخر لا يقل بشاعة عن من يرمون بأنفسهم في البحر طعما للحيتان، رأيته بأم عيني في معظم المدن الجزائرية، شباب بطولهم وعرضهم، بقوتهم الجسدية وفتولة عضلاتهم، بصغر سنهم ونشاطهم وحيويتهم يتجمهرون في وسط المدينة، ليس من أجل المطالبة بحقهم في العمل وإخراجهم مما هم فيه، وإنما يقفون ويبيعون أشياء تافهة لا تتوافق مع أعمارهم وأجسادهم.. هذا يبيع بطارية هاتف، وآخر يحمل جوارب ليبيعها، وآخر يحمل بعض الهواتف تشوهت حالتها ليبيعها كذلك.. وهم يتزاحمون في رقعة جغرافية ضيقة، من أجل ممارسة نشاط لا قيمة له، في الوقت الذي من المفروض أنهم

متواجدون في المصانع والمزارع والمؤسسات الإدارية والاقتصادية المختلفة، للإنتاج والزراعة، والبناء والتشييد.

يبدو أننا نعيش مرحلة لم يعد فيها أكثرنا مدركا لما هو مطلوب منه، لدوره، ومهمته، للمسؤولية التي يطالبه بها الوطن والتي ستطالبه بها الأجيال القادمة.

فلابد أن يقوم الشباب بواجبهم وذلك بالدفع إلى التغيير ومقاومة الفساد والفاسدين، وليس "الحرقة" على قوارب الموت أو الاكتفاء بنشاطات شبه اقتصادية هامشية لا قيمة لها لم تشهدها حتى المجتمعات الأشد تخلفا وفقرا.. كما لابد للسلطات أن تتحمل مسؤولية ما يحدث، فالاغتراب الذي يعيشه معظم شباب الجزائر طوفان حقيقي يعلم الله متى يتحرك، وإذا لم يلطف الله فالكارثة سيدفع ثمنها الجميع.

شكرًا جيشنا الوطني

إن العملية التي تم بموجبها توقيف حوالي سبع مائة كيلوغرام من الكوكايين في باخرة تحمل لحوما حمراء كانت مصدرة لنا نحن الجزائريين، هي بمثابة منع حدوث زلزال عظيم أو حريق مهول أو تسونامي جارف لولا لطف الله في هذا الشهر الكريم، ويقظة الشرفاء في مصالح الأمن وعلى رأسهم الجيش الوطني الشعبي لكنا من الهالكين، ولأتى على الأخضر واليابس في هذا الوطن.

العملية برمتها لا يمكن وصفها إلاّ بجرم كان سيحدث ضد شعب كامل، ولو تحقق مراد فاعليها ومخططيها فهي لا تقل جرما عن استعمال أسلحة الدمار الشامل أو الغازات السامة في الحروب.

إن المقصود بهذه العملية ليست الأموال التي ستجنى من ورائها، وإنما الوطن، حاضره ومستقبله، أطفاله وشبابه، العمود الفقري الذي يقوم عليه.

إن المقصود هي عقولنا حتى لا يُبْقُوا لها باقية، فتنهار بعدها الأخلاق والأمن، وتنتشر الجريمة والعصابات في وقت وحين، والأسلحة غير الشرعية والقتل، فنصبح لا فرق بيننا وبين شعوب تلك المنطقة التي حُمّلت منها والتي تعاني منذ عقود من جرائم جسيمة بسبب عصابات المخدرات.

قلت: لولا لطف الله ويقظة الجيش الوطني لكنا من الهالكين، فالتوقيت كان توقيتا جهنميا، في شهر رمضان أين يقل التركيز عموما، وتتسيب الأمور على كافة الأصعدة والمستويات، حيث يصبح همنا الأكبر هو عدّ الساعات وانتظار موعد الإفطار، وكم من جرم وكم دفعنا من ثمن باهظ على المستوى الأمني في تاريخنا القريب، فقد بسبب الغفلة واللامبالاة في هذا الشهر وخاصة عند موعد الإفطار.

نتمنى أن تتعمق التحريات والبحوث للوصول إلى الفاعلين الحقيقيين، لمعرفة: من أرسل؟ ولمن أرسلت؟ وهل العملية من فعل بارونات معزولة أم أنها عملية بمشاركة دول تريد الهلاك للجزائر وتدمير شبابها؟.

ثقتنا في مصالح الأمن عموما كبيرة، وخاصة الجيش الوطني الشعبي، فقد كان بالمرصاد وفِي الموعد كلما مرت الجزائر بمحنة، فهو حامي الديار، لكشف سر العملية وإظهار الحقيقة، أملنا فيه كبير، فشكرا للجيش الوطني ولكل مصالح الأمن.

شيوخ السياسة!!

ربما عندما يسمع البعض بمصطلح شيوخ السياسة يخطر على باله تلك الشخصيات السياسية التي هرمت وشاخت في الوظيفة السياسية، ولَم تعط الفرصة للشباب في ممارسة السياسة، تعضّ على المنصب بالنواجد، وتمارس كل ما تملك من حيل ودهاء وطقوس لتحويط مكانها بحراسة مشددة حتى لا يقترب منه ولا ينازعها فيه أحدا.

لكن ما أقصده بهذا المصطلح، هي تلك الشخصيات السياسية -شبابا أو شيوخا- التي تملك الحكمة، الوعي وبعد النظر، تحسن الموازنة بين الإشكالات المطروحة والحلول المرجوة .

هي شخصيات هدفها البناء وليس الهدم، تضحي بنفسها من أجل الوطن، تقدم مصلحة الدولة على حساباتها الشخصية الضيقة، لها أدوار فعّالة لترقية الحوار والتقريب بين وجهات النظر حتى ولو لم نسمع أو نقرأ عنها في مختلف وسائل الإعلام، تجمع ولا تفرق، تهتم بالكليات وتتجاهل الجزئيات لوقت آخر.

وكم نحن بحاجة في هذه المرحلة التي تمر بها الجزائر إلى شيوخ في السياسة، لأنها مرحلة تتطلب التوافق والحوار البنّاء وترتيب الأولويات تتطلب الهدوء، مرحلة لا مكان فيها للمتطرفين وأصحاب الرأي الواحد الأوحد

والإقصائيين وكل من سكنه هوس بأنه هو الجزائر والناطق الرسمي باسم كل الجزائريين.

إلى حد ما متفائل بمستقبل زاهر للجزائر، لكن في بعض الوقت أصاب بخيبة أمل عندما أسمع تصريحات أو أقرأ أخرى تفتقد إلى الحكمة، أنزعج من مواقف تتطلب شيوخا في السياسة وليس مراهقين، أخاف عندما أرى بأن الشارع أصبح هو المحرك الرئيسي لأفعال وأقوال السياسيين... أفكر.. أتذكر.. يعود بي شريط الأحداث إلى تسعينيات القرن الماضي وأقول: لقد حدث ما حدث لأنه لم يُسمع يومها بجد لصوت شيوخ السياسة، فكانت الكارثة، فهل نستدرك اليوم ما فاتنا ونستمع إلى صوت شيوخ السياسة؟!.

صناعة الكراهية

كراهية الآخرين بسبب آرائهم وقناعاتهم سلوك غير سوي، يؤثر على الروابط الاجتماعية بين الأفراد والجماعات.

والكراهية صناعة تبدأ من الصغر، فالأسرة كما يمكنها أن تنشئ الأطفال على حب الآخرين، يمكنها كذلك أن تنشئهم على كره الآخرين، بمعنى أن ما يحدث من تفاعلات عنيفة وشاذة بين أفراد المجتمع أساسه خلل ثقافي تربوي.

مشروع قانون تجريم نشر الكراهية والعنصرية والجهوية الذي أمر رئيس الجمهورية بإعداده، حتمًا هي تعليمة مشروعة ومفيدة، إلا أن هذا القانون في اعتقادي لن يقضي على هذه الظاهرة السيئة، والسبب كما ذكرت ثقافي تربوي، وكذلك سياسي، اجتماعي.

ولمعالجة هذه الظاهرة السيئة التي تتفاقم يوما بعد يوم، وقد أصبحت واضحة جلية وحتى ملموسة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، تتطلب جهدا فكريا ومشروعا كامل الأركان، يبدأ في تقديري من المعالجة الثقافية والتربوية والفكرية إلى معالجة قانونية في إطار مشروع سياسي كبير يعمل على التشارك من أجل البناء وتحقيق العدالة والحريات لتقوية الروابط بين أفراد الوطن

والابتعاد عن كل فكر أو فعل يؤدي إلى هشاشة هذه الروابط.

عيد الإخفاقات!!

عدت اليوم إلى عملي بعد يومي عطلة العيد.. عيد الفطر المبارك.. كما عدت كذلك إلى ممارسة عادتي القديمة الجديدة، وهي ارتشاف فنجان قهوتي الصباحية مع الكتابة.. الكتابة والتعبير عن آلامي وآمالي ومشاركة الأخيار من أبناء بلدي في ممارسة فعل التغيير.. التغيير الشامل والبنّاء الذي ينشده الجميع.. كبيرا وصغيرا.

أما عيد الفطر المبارك فقد كان تتويجا للمسلم الملتزم على اجتهاده طيلة أيام وليالي شهر رمضان المبارك.. كما أنه فرح وارتقاء وزيادة في بناء أواصر المجتمع والإنسانية جمعاء على اختلاف أجناسها ودياناتها.. فأعياد المسلمين فقط من تمس بركتها وخيراتها كل إنسان على وجه هذه البسيطة.. لأنه عيد من الله ونحن كلنا عباد الله.

والجزائر زادت هذه السنة على عيد المسلمين من المشرق إلى المغرب بعيد استقلالها الذي مرت عليه أربع وخمسون سنة.. وبلغة الشعراء وإخفاء الأضرار نقول: أربعة عقود ويزيدون.. وبلغة التلهية والاستخفاف بالعقول نقول: رضيعا ولد وكبر وأصبح كهلا.. وبلغة الفاجعة والفضيحة الكبرى نقول: دولة كوريا الجنوبية بكل إنجازاتها واختراعاتها وتقدمها الحضاري!!.

والأمثلة عديدة وكثيرة عن الدول التي تطورت وتقدمت في وقت وجيز جدا.. فما كوريا الجنوبية إلاّ أحد

هذه الأمثلة.. بل وهناك دولة خاضت حروبا مكررة ومتواصلة ضد فرنسا وبعدها أمريكا وهي الآن في أحسن رواق منّا في صناعة الحضارة.

ولهذا فمن حقنا اليوم أن نقول بأن عيد استقلالنا هو عيد الإخفاقات بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالة.. إخفاق في صناعة الإنسان والحياة وإخفاق في تحقيق حلم من ضحوا بالأمس في وطن أساسه العدل والعدالة.. وطن الجميع.. تبنيه أيادي أبنائه العاملة.. وعقول أفراده الذكية.. وقلوب المواطنين المتحمسة.

إن أولى الإخفاقات بعد الاستقلال بدأت يوم نقلنا الصراع ضد فرنسا إلى صراع حياة أو موت بين بعضنا البعض.. فكرّسنا للجهوية.. وتناصرنا للأيديولوجيا على حساب الوطن.. وأبعدنا كل صوت ناصح معارض مخالف.. فمستنا الشمولية في كل شيء حتى فيما نأكل وما نلبس.. ثم كان الإخفاق الثاني يوم بُرمجنا عن قصد بأن ثورتنا أعظم مما عرفت الإنسانية في هذا القرن.. فسقنا جماعات وأفرادا -إلى غاية اليوم- إلى نوم أهل الكهف مرددين أغاني النصر الناقص حالمين بأننا أعظم دولة في جنوب الكرة الأرضية وأننا الشعب الأعظم عبر الأزمنة والعصور.

وها نحن لغاية هذه اللحظة.. نواصل نفس السخافات.. نُصّر على الاستخفاف بعقول بعضنا بعضا وبعقول الأجيال الصاعدة.. وبنفس العاطفة والمفاهيم

السابقة نمارس الكذب المقنن على حاضرنا ومستقبلنا.. نمارس السطو نهارا بعدما كان ليلا على الشعب لإرضاء جشع النفس وجهات في الداخل والخارج بأيدي ماهي إلاّ إحدى صناعات هذا الإخفاق.

إن الإحتفال بالنصر ليس بوضع باقة زهور على قبور الشهداء.. ولا بإلقاء الخطب الرنانة المسكنة للآلام.. ولا بقراءة الرسائل الحماسية العاطفية التي تزيد على الأبصار غشاوة.. ولا بالمكابرة والهروب إلى الأمام.. بل الاحتفال بالنصر هو أن نقتل الأنا فينا ونقرأ التاريخ قراءة واعية ونزيل الغشاوة عن أعيننا لننظر إلى حقيقة حالنا.. النصر الحقيقي يبدأ من اليوم الذي نعترف فيه بدون خجل بأننا خلال كل السنوات الماضية كنا نحتفل بعيد الإخفاقات!!.

فوبيا الاستقلال عن فرنسا

بعد أيام قليلة ستمر علينا أزيد من خمسة عقود من الاستقلال.. ولو كنت عالم اجتماع أو عالم نفس أو حتى رجل تاريخ لبحثت في نفسية الجزائريين في تلك الفترة إن كانت لهم حقا الرغبة في الاستقلال أم لا؟!.. وأنظر إن كانوا يشعرون بخوف وفوبيا الاستقلال عن فرنسا أم لا؟!.

من المؤكد بأن الرغبة في الاستقلال كانت قوية جدا.. ولهذا ضحت كل شرائح المجتمع من أجل نيل الاستقلال ومعانقة الحرية.. فساهم في ذلك الكبير والصغير.. شاركت في ذلك كل الفصائل الحركية السياسية وغير السياسية.. لكن هل الرغبة في الاستقلال تكفي لبناء الوطن والإقلاع به في جميع المجالات؟ أم أن فوبيا الاستقلال التي نعيش نتائجها اليوم والتي لا يريد أحد الحديث عنها وطرحها كإشكالية حيث أصبحت ظاهرة للعيان في كل المجالات هي السبب الرئيسي فيما نحن فيه؟.

إن سبب فشلنا في إقلاع حقيقي كي نحقق اكتفاء زراعي وتطوير للبنية التحتية والنجاح في صناعة خاصة بِنَا على الأقل في بعض المجالات وتبني منظومة تعليمية ناجحة خلال كل مدة الاستقلال هذه يفرض علينا أن نطرح أكثر من سؤال عن سبب هذا الفشل.. فإذا كانت

لنا رغبة قوية لنيل الحرية فلماذا لم تكن لدينا هذه الرغبة في بناء الوطن بعد ذلك؟.

في رأيي الشخصي، أعتقد بأن فوبيا الاستقلال والخوف مما سيحل بِنَا بعد الاستقلال هو السبب الرئيسي في هذا الفشل العظيم الذي أصابنا.. فَلَو لم تكن تسكننا فوبيا الاستقلال عن فرنسا لنوعنا منذ البداية في علاقاتنا الاقتصادية ولم نجعلها فقط في يد فرنسا.. ولما تركناها تتحكم فينا ثقافيا ونصبح الشعب الأول في العالم المتبني لثقافتها وللغتها.. لو لم تكن تسكننا فوبيا الاستقلال عن فرنسا لما سخرنا من منتوجاتنا القليلة وعظمنا منتوجاتها.. ولما أعطينا إصلاحات التعليم عندنا لأيادي فرنسية تبرمج لأطفالنا ما تشاء ونحن نملك كفاءات علمية قادرة على ذلك حتى أصبحنا نرى صورا في كتاب مدرسي لطفلة صغير بدون سروال؟.

لو لم تكن تسكننا فوبيا الاستقلال عن فرنسا لما تحدث المسؤولون الكبار عندنا في اجتماعات رسمية ولما كتبوا تقاريرهم باللغة الفرنسية.. لولا هذه الفوبيا لما حاولنا كل مرة إرضاء فرنسا على حساب مصالحنا الاقتصادية والسياسية.. ولنوعنا من طلب تأشيرات لمختلف دول العالم ولما توجهنا فقط لسفارة فرنسا حتى أصبحت مداخيلها من ذلك تسدد به كل احتياجاتها في كامل سفاراتها في إفريقيا ثم ترفض معظم تلك الطلبات!!.

إن فوبيا الاستقلال عن فرنسا هي أخطر ما توارثناه منذ الاستقلال إلى غاية اليوم.. وهو العامل الأساسي الذي جعلنا نعجز على الاعتماد على أنفسنا والذهاب إلى أبعد مما نحن فيه.

إن فوبيا الاستقلال عن فرنسا هي التي تمنعنا من التفتح أكثر في المجال السياسي والثقة في قدراتنا وهي سبب الخوف من بعضنا.. خلقت فيما بيننا وتولدت عنها "فوبيات" أصابت الجميع.. فوبيا كلمة الحق.. فوبيا التلفزيونات الخاصة والحصص السياسية.. فوبيا بعض المقالات في الجرائد.. فوبيا مواقع التواصل الاجتماعي.. فوبيا السلطة.. فوبيا المعارضة في الداخل وفي الخارج.

إن الرغبة في الاستقلال شيء وفوبيا مما سيحدث بعد الاستقلال شيء آخر.. ولقد رغبنا في الاستقلال فحققنا ذلك.. ولن يكون تاما إلاّ بالتغلب على فوبيا فرنسا خاصة سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

في ذكرى مولد النبي العالمي!!

اشتد الجدال هذه السنة في ذكرى مولد خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، بين داع إلى الاحتفال بذكرى مولده، وبين مبدع وناكر لها. شخصيا لا أريد أن أدخل في هذا الجدال العقيم، لأنني أعلم جيدا بأنه جدال غير نافع، وأن هذا النوع من الخلاف والاختلاف مثله كمثل الكثير من القضايا في الفقه والتفسير والتشريع.. التي سيبقى يختلف المسلمون فيها إلى غاية أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولهذا فنظرتي إلى هذه الذكرى مختلفة تماما، تريح قلبي، مطمئن لها، خاصة عندما استجمع الآيات التي تتحدث عن الرسول الكريم، فأجده شخصية عالمية بعث رحمة للعالمين، نذيرا وبشيرا وهاديا للإنسانية إلى صراط الله، الصراط المستقيم.

المسلم الحق مطالب أن يتعرف جيدا على نبيه عندها سيدرك حتما، أنه لم يأتِ بمشروع لحية، ولا مشروع لباس، ولا من أجل لغة بعينها، ولا بطريقة خاصة في العمل والبناء والتخطيط ورسم السياسات والمناهج.. الخ.

سيدنا محمد جاءنا بأساسيات، لو نتمعن فيها جيدا لو نفككها ونحللها لوجدنا بأن كل العلماء الأفذاذ الذي برزوا في علم النفس وعلم الاجتماع وفِي السياسة والاقتصاد والتجارة والتربية والإجرام والعقاب والحقوق

وفِي ميادين أخرى، أنهم نهلوا منها ولمسوها بطريقة أو بأخرى، علموا بذلك أم لم يعلموا.

إن دراسة ما صح عن النبي محمد من قول وعمل وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى، سيساعد البشرية جمعاء، بأن تحقق السعادة التي تنشدها، التي لم تتحقق بعد، لا في النظام الإشتراكي البائد ولا النظام الرأسمالي القائم ولا الطريق الثالث الذي يدعوا إليه بعض المفكرين.

والمحزن أننا أهملنا هذا الكنز، وانشغلنا بتقليد النبي في إعفاء اللحية وتقصير السروال وحك الأسنان بعود شجرة الأراك.. الخ، فحرمنا أنفسنا وحرمنا غيرنا من الشعوب غير المسلمة التعرف على منهاج ونهج وأفكار هذا الرجل العظيم.

لقد رأيت في أوروبا بعض ممن يقصرون السراويل ويعفونا لحاهم و"يكحّلون" عيونهم، لكنهم يسيئون للنبي ولرسالته العظيمة وللمسلمين كافة بتصرفات غريبة وأخلاق ساقطة، كيف لا، وهم يسرقون محلات المواد الغذائية، ويضعون أيديهم في جيوب الناس لسرقة أموالهم، يحللون ذلك، بفتوى أنهم كفار، لكن حمدا لله أنهم قلة قليلة.

أقولها وأرددها، لابد أن نترفع عن تلك الجدالات العقيمة حول مولده وملبسه ومظهره وشكله، ولندرك بأن المنهاج الذي جاءنا به، يكفينا نحن المسلمين لكي

نخرج من تخلفنا الحضاري، ويكفي العالم المتحضر للخروج من تخلفه الروحاني، فصلى الله عليه وسلم بعث هاديا مهديا للعالم أجمع، وهو ملك للبشرية جمعاء.

قراصنة الأمن والوعي

كادت أحداث تركيا الأخيرة أن تنسينا ذلك التصريح الخطير والمقصود الذي أدلى به الرئيس الفرنسي هولاند بعد العمل الإرهابي الأخير الذي وقع في مدينة نيس، حيث اتهم بصورة مباشرة وبكل ثقة نفس بأن ما يحدث من إرهاب مصدره الدين الإسلامي الحنيف!!.

ولو نجيب على مثل هذه الحماقات لوقعنا في حماقات أكبر منها.. فالإسلام دين السلم والأمان يعرف خصائصه ومقاصده أهله، وغيرهم من الأجناس، فهو دين الحياة.. والذي يريد التأكد من هذا عليه أن يذهب إلى أدغال إفريقيا وينظر إلى دور الجمعيات الخيرية الإسلامية في حفر الآبار حتى يرتوي الناس من العطش وحتى تعود لهم الحياة بعد موت محقق.

وينظر كذلك ماذا فعلت الحضارة الغربية وخاصة الاستعمار الفرنسي.

لكن الذي نريد أن يعلمه الناس هو أن الإنسانية عامة تعيش منذ زمن حالة من القرصنة تنفذها جهات خفية متعاونة تتواجد في دواليب السلطة لها أجندات جد مدروسة ودقيقة تعمل ليل نهار من أجل هدفين اثنين وهما: قرصنة الأمن وقرصنة الوعي.. وتستعمل لذلك جماعات إرهابية تسمى بالإسلامية كما تستعمل أفرادا لهم قابلية للعمل الإرهابي كما تستعمل العنصريين

والمتطرفين تحت غطاء ما يسمى بالتهديد الأجنبي للوطن والخوف من أسلمة الغرب.

أما قرصنة الأمن فقد بدأ منذ نهاية الحرب الباردة.. أسقط جماعات ودولا وأنظمة.. وقسّم دولا أخرى وأدخل البقية المتبقية في اللا أمن والفوضى.. استعملت في ذلك كل أنواع الأسلحة.. ووظفت لتنفيذها جماعات ما تسمى بالإسلامية ومتطرفون عنصريون تحت ذريعة الخوف من الوجود الأجنبي وخاصة الجاليات المسلمة.

أما قرصنة الوعي فهو عمل دؤوب ومتواصل ليل نهار.. هدفه تشويه صورة الإسلام والمسلمين والتخويف منهم لدى شعوب الغرب.. وقد استعمل في ذلك كل وسائل الإعلام.. فمثلا في الوقت الذي حدث فيه ذلك العمل الإرهابي الذي مسّ مدينة ميونخ -والتي نحمد الله أنه لم يكن للفعل خلفية إسلامية- كان يبث في إحدى القنوات الإذاعية السويدية برنامجا عن الحجاب وعن معاناة المرأة المسلمة في المجتمعات المسلمة مع كم هائلا من التزييف والمغالطات.. ومواضيع أخرى كثيرة ومتعددة تتحدث عن القرآن وعن النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

والهدف من كل هذا هو خلق حالة من الترقب والخوف والتوجس بين مختلف الشعوب والجاليات.. والانشغال عن ما هو مهم.. ودفع خاصة شعوب الغرب للتنازل عن الحقوق والديمقراطية والحريات وحقوق

الإنسان وكذا وضع مكابح قوية لوقف المد الهائل للإسلام بين كل شعوب المعمورة.

إن صناعة القرصنة.. قرصنة الأمن والوعي هدفه هو أن تحافظ هذه الأنظمة على القوة والسلطة والمال وتحريك عن بعد الأحداث من أجل حياة الرغد وعيش الرفاهية.. وقرصنة الأمن والوعي هي تكملة لعملية كبيرة تكون قد تمت في الكثير من البلدان المتخلفة وهي قرصنة الاقتصاد.. فلا حياة لأي شعب دون اقتصاد وأمن ووعي.

كأس العالم و"بسينة" الجزائر

العالم صغير جدا، وزادته شبكات التواصل الاجتماعي والقنوات التلفزيونية وتقنيات الاتصال والتواصل صغرا.

كأس العالم التي تجري فعالياتها هذه الأيام في روسيا كشفت لنا أشياء كثيرة، كشفت لنا حقيقة روسيا الاشتراكية والشيوعية التي درسنا عنها سنوات الثمانينات، بلد الأزمات الاقتصادية بداية التسعينات بلد ضعيف اقتصاديا، منهار سياسيا، انفصلت عنه دول وجمهوريات حتى توقعنا زواله، خاصة بعد حرب باردة استنزفت قواه، استغرقت عقودا خرج منها ضعيفا، بالكاد أصبح شعبه يجد قطعة خبز يأكلها وكأس حليب يشربه.

لكن روسيا اليوم ليست تلك التي كنّا نسمع ونقرأ بنية تحتية قوية جدا، مدن كبيرة ونظيفة، منشآت ضخمة يصعب عدّها أو حصرها.. وهكذا هي الدول القوية، ذات التقاليد الراسخة، تضعف لكنها لا تزول، تخطئ لكنها لا تقبل أن تكون مسخرة أمام الدول الأخرى، خاصة الدول الغربية منها، وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية.

كل الذي حدث وما وصلت إليه روسيا اليوم يراه المشاهد الجزائري، يتابع عبر قنوات التلفزيون العالمية ومن خلال الشبكة العنكبوتية كل صغيرة وكبيرة التفاصيل العريضة والدقيقة، لا مجال للأرقام ولا للتقارير أن تكذب عليه، ولا لقنوات الأخبار المحلية، فكل

شيء واضح أمامه، ينظر ويعيد النظر، يتمعن ويقارن يتألم ويتحسر، يتأسف ويغضب، يغضب على حاله وعلى الحال الذي وصل إليه وطنه.

وفي غمرة تلك الأحداث التي تعيشها مدن روسيا وفرحة الشعوب بمشاركة منتخباتها، أمام تلك المناظر الجميلة، جمالية الإنسان والمكان، أين التفوق والتحضر.. ينسى الجزائري بعض همومه، يعيش لذة تنسيه بعض القرف الذي يحيط به، تبعده ولو لفترة عن التيه الذي أجبر عليه، ليعود بعد ذلك من حلمه إلى واقعه، فيجد "بسينة" في انتظاره، حوض مائي يقال بأنه إنجاز من المنجزات، مشروع من المشاريع العظمى، تطلّب فتحه وفودا رسمية وغير رسمية، "بسينة" من الماء ليغسل فيها وجهه، أو ربما ليتوضأ منها، يستغفر الله حتى لا يقول كلاما يخرجه عن دينه، مشروع من المشاريع، حضر معه كل شيء، إلاّ الحياء والرجولة.

كاميرات خفية ووطن مخيف

معظم حصص الكاميرات الخفية التي قدمت في الأسبوع الأول من شهر الرحمة والاطمئنان، لم تكن أبدا مُسليّة ولا ممتعة ولا مطمّنة، بل كانت ظالمة ومؤذية تجاوزت حدود اللباقة والذوق والاحترام المتبادل المعروف بين الناس في كل الثقافات والأديان.

كان من المفروض أن تكون هذه الكاميرات الخفية وسيلة تسلية بطرق ذكية، دون كثير كلام ولا صراخ ولا هرج ولا مرج، ولكن ولأننا عطّلنا عقولنا عن التفكير وإرادتنا في الإبداع وحللنا محلهما الارتجالية والعبث فحصل الذي حصل، وكانت النتيجة كوارث وسقطات تخويف وإرهاب وتعدي واستخفاف بمن أُوقعَ بهم وكذلك بنا نحن الواقعين على هاته القنوات!!.

والمخيف في هذه الكاميرات الخفية أنها ربما أصبحت مرآة عاكسة وكاشفة لحقائق مخيفة أصبحنا نعيشها يوميا، لثقافات منحطة وليدة خيارات خاطئة أفسدت طباعنا، أضرت بنا وبالوطن، وطن أصبح يتجه يوميا بسرعة متزايدة نحو المجهول، لا أحد يدري في أي محطة متهرية سيقف بنا أو عند أي حائط إسمنتي نحن داخلون؟!.

فكيف لا نخاف وقد عيّن في التغيير الحكومي الأخير في منصب مسؤول في الدولة الجزائرية مواطن ثم يُقال بعد سويعات قليلة، بحجة أنه مسبوق قضائيا -هذا إن صحّ هذا الكلام- دون التحري والتحقيق في صحيفة سوابقه العدلية، أو دون الإطلاع على شهاداته وخبراته وقدراته في مجال التسيير؟!.

وَكما قلت، هذا إن صح هذا الكلام، أما إذا كان الأمر مجرد فبركة وتصفية حسابات بين مسؤولين، راح ضحيتها مواطن لا حول ولا قوة له، فهذا هو الخوف بعينه، وهو أشد وطأة وضررا على أنفسنا وعلى أعصابنا من كل الكاميرات الخفية مجتمعة في وقت واحد.

وَيَا ليت خوفنا يتوقف عند كاميرات خفية لم يشفق علينا معدّوها في شهر الشفقة والإحسان والتراحم، بل خوفنا وعزاؤنا أن تستمر هذه المهازل التي تحدث في الوطن، أن يتواصل هذا التراجع المخيف، أن نفقد ثقتنا بأنفسنا، أن تتقطع شعرة الوصال والتواصل بيننا وبين دولتنا، أن نكتشف بعد زمن بأننا كنا ضحايا أعظم كاميرا خفية في الوجود، لا تُبكي ولا تُضحك، لا تُغضب ولا تُسكن، لا تُؤلم ولا تُسعد، بل فقط لها مفعول واحد القتل أو الموت البطيء، مديروها ومحركوها مجرد أشباح. نحن نجحنا في الإيقاع ببعضنا في كاميرات خفية، وهم نجحوا في تحويل كامل الوطن من وطن مطمئن إلى وطن مخيف.

للتغيير منطقه

والجزائر مقبلة في الأشهر القريبة القادمة على محطة مهمة من محطات مسارها السياسي وعملها على ترسيخ ثقافة الفعل الديمقراطي، لاحظت من خلال الإعلام ومن خلال صفحات التواصل الإجتماع، أن التغيير بالنسبة لمعظم الجزائريين بما في ذلك المثقفون والنخب، يرتكز على الجانب السياسي فقط، وهذا خطأ كبير إذا كنّا حقيقة نريد تغييرا حقيقيا يفيدنا للنهوض بالوطن.

التغيير لا يرتكز فقط على شقه السياسي، والمطالبة وتحقيق انتخابات حرة ونزيهة ليس بالضرورة تأتينا بالتغيير الذي نريد رغم دعوتنا لذلك وتثمينه إن تحقق لأن التغيير أولا وقبل كل شيء، هو عملية فكرية عقلية وجدانية اجتماعية ثقافية قبل أن يكون عملية سياسية.

يبدو لي أننا نسير في الطرق الخطأ، أو لأخفف هذا الحكم حتى لا أزرع التشاؤم وأقول: بأننا نسلك طريقا طويلا، متعرجا ووعرا، وأننا نُضيّع الكثير من الجهد ومن الوقت.

لقد كان من الأجدر بِنَا جميعا، سياسيين ومثقفين وأساتذة جامعيين وإعلاميين ومواطنين عاديين وحتى من هم فوق العادة، أن ينصب جهدنا قبل المحطات الانتخابية أو بعدها وبعملية مبرمجة ومنظمة على نشر ثقافة المواطنة والتعايش، ثقافة الحوار والديمقراطية

ثقافة تقبل الآخر والاستماع إلى أطروحاته وفهمه، إلى مفهوم الفعل السياسي والانتخابي وضرورته.. الخ من خلال الإعلام والملتقيات الوطنية والجهوية وفِي الجامعات والمدارس وعلى مستوى جمعيات المؤطرة للمجتمع المدني.

لم يتحقق عبر التاريخ تغيير إصلاحي -بمعنى متحكم فيه خاصة مع الظروف العالمية التي نعيش- من غير المرور عن طريق الفكر وعن طريق التنشئة الاجتماعية والإرادة الصادقة والرغبة القوية في التغيير. فإدراكنا لأهمية التغيير وأننا نستحق أفضل مما نحن فيه، وأننا نطمح للأحسن كل يوم والحماسة لتحقيق ذلك، وأن تكون لنا ثقافة ممارسة التغيير والشعور بالمسؤولية أهم بكثير من ألف خطبة سياسية ومن تجمع سياسي وندوة سياسية وحوار سياسي وتصريح سياسي ومن المرشحين أنفسهم، لأن الوعي الحقيقي هو الذي يميز بين وعود المتكلمين في السياسة والمترشحين لها، وهو الرأسمال الحقيقي لكل تغيير.

لماذا علم الاجتماع؟!

إن منع الباحث في علم الاجتماع الأستاذ ناصر جابي أو أي أستاذ آخر من إلقاء محاضرة تحت أي عنوان في أي جامعة من جامعات الجزائر، هو فعل مقلق، فعل يدخل في خانة تكريس التخلف والرداءة والخوف من السؤال والتهرب من الاستماع إلى الأجوبة الحقيقية، فعل مدمر للعقول وللفكر وسير في اتجاه يخالف ما قامت به دول عديدة، خاصة الغربية من أجل التقدم والتطور.

علم الاجتماع في الغرب، بل وكل العلوم الإنسانية لها مكانة خاصة، ليس من السهل دراسة هذه التخصصات في جامعاتها، لأنها تتطلب كفاءة فكرية عالية، فهي -أي هذه التخصصات- القاعدة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع، عن طريقها رسخت ثقافة الحوار والديمقراطية ومفهوم المواطنة وفَهِمِ الآخر والعيش والمصير المشترك وفن إدارة الأزمات وفهم الواقع وتفسيره وبالتالي وضع الحلول المستقبلية للتحكم فيه.

ربما يعتقد عامة الناس بأن التقدم الحقيقي يكون عن طريق الاختراعات والابتكارات العلمية، وهذا طرح صحيح إلى حد ما، لكن تكوين الفرد الذي يقوم بذلك يتطلب استحداث المسار الذي يؤدي إلى ذلك والبيئة المناسبة والمنظومة الفلسفية والتربوية.. وهذا لا يتحقق

إلاّ بإعادة الاعتبار للعلوم الانسانية، والاهتمام بها ورفع مستواها بتقديم لها من هم قادرون عليها فكريا.

إن الاهتمام بعلم الاجتماع وبالعلوم الإنسانية الأخرى هو الذي يمكننا من بناء المجتمع الذي نريد والمدرسة التي نطمح والنظام السياسي الذي يخدمنا.. بعلم الاجتماع نفهم واقعنا فهمًا صحيحا وعميقا، نرتب أولوياتنا نتجاوز خلافاتنا الهامشية، نتقبل بعضنا البعض، نصنع قرارنا بأيدينا وبالتالي مستقبلنا.

تكفي إطلالة سريعة على تاريخ أوروبا لنتأكد بأن خروجها من عصر الظلام والتخلف كان باعتمادها على الفلاسفة والمفكرين، ولا أعتقد بأننا سنحقق نفس الإنجاز دون الاعتماد على الفلاسفة والفلسفة وعلى الفكر والمفكرين وعلى الفاعلين الاجتماعيين الواعين؟!!.

لماذا يجب أن ننتخب؟!

في الدول المتقدمة يعتبر الانتخاب حق وواجب وحرية كذلك، يعتبر سلوكا حضاريا من أجل اختيار مرشح ما أو سياسات معينة، لكن في بلد متخلف مثل بلدنا الجزائر فالانتخاب شيء آخر غير كل ما ذكر سابقا.

الانتخابات التشريعية التي ستجرى اليوم في الجزائر ليست من باب الرفاهية والكماليات، أو من باب الزينة والتفاخر، أو من أجل أن نبيّن للعالم الخارجي بأننا دولة ديمقراطية، وإنما هي شأن داخلي، هي صراع بين الفاسدين والصالحين، هي تدافع بين قوى الخير وقوى الشر من أجل تسيير البلد والذهاب به إلى مراتب متقدمة، أو الرجوع به إلى مراتب متأخرة أكثر تخلُّفا وتقهقرا.

الانتخابات التي ستجرى اليوم لا هي واجب ولا هي حق، لأننا لم نصل بعد إلى دولة الحقوق والواجبات وإنما هي مسؤولية على عاتق كل مواطن ومواطنة حتى لا يغرق الوطن أكثر في وحل الفساد والإسراف والتبذير والمخططات الفاشلة، والتي حتما إن مُكّن لها أكثر ستأتي على ما تبقى من أخضر، ستكون الحالقة التي تحلق رؤوسنا جميعا ورؤوس الأجيال القادمة دون استثناء.

إن الذهاب اليوم إلى الانتخاب واختيار الشخص المناسب والصالح هو نوع من أنواع الجهاد، هو تنفيذ

لأعظم قانون يُسيِّر به هذا الكون العظيم، هو قانون التدافع الذي لولا هو لفسدت الأرض والسماء فبتصويتك على المترشح المناسب تدفع بالمترشح غير المناسب خارج حلبة الصراع، حتى لا يقنن لك قوانين لا تخدمك، حتى لا تترك له الفرصة بأن يتحكم في مصيرك ومصير عائلتك وأطفالك وفي مصير الوطن برمته.

الانتخاب اليوم هو حلقة مهمة في مسارنا من أجل الوصول إلى الوطن المنشود، من أجل النهوض ثانية ومواصلة السيّر رغم مشقة الطريق وقلة الحيل والحلول رغم ضآلة الأمل وفقدان الثقة في أنفسنا وفيما هو موجود.

الانتخاب اليوم هو نوع من الإصرار على الحياة، هو نوع من الكفاح، هو من أجل حماية سفينتنا حتى لا يعبث بها العابثون المراهقون، حتى لا يسيروا بها بين الصخور فتتشقق وتنكسر ونغرق جميعا ولا ينفع عندها من هو متواجد في أسفلها أو في أعلاها أو من يتفرج على الجميع من مؤخرتها.

لننتخب اليوم، ولنحسن الاختيار، لا نترك مجالا للعابثين كي يرهنوا مستقبلنا ومستقبل أبنائنا ومستقبل الوطن كله، الانتخاب اليوم ليس واجبا من الواجبات أو حقا من الحقوق، وإنما هو معركة عظيمة بين جهتين متباينتين، حتى إذا لم تحسم لصالح العاملين والقادرين عليها، فإنها حتما ستجعلهم أكثر ثقة وعزيمة وإقداما

ليكونوا أقوى في مواعيد أخرى، أكثر صلابة وإصرارا على العمل والدفع نحو التغيير المنشود، وستبقى الحياة صراعا بين الخير والشر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لننتخب حتى لا تهنأ عيون الفاسدين الفاشلين، حتى تبقى عارا مرسوما على جباه المرتشين وأصحاب المال الفاسد والجاهلين والأميين وكل من شابههم أو كان على ملتهم في هذه الانتخابات إلى يوم الدين.. حتى نقول لهم نحن هنا، ليس من أجلكم وإنما غيرة وحبا وخوفا على وطن لم تحسنوا الاعتناء به.

النذير مصمودي من الفكرة إلى الفكر

هي ذكرى أخرى لوفاة الأستاذ والأخ النذير مصمودي رحمه الله، توفي وقلبه يعتصر من ظلم البعيد والقريب البعيد لعب دورا كبيرا في التضييق على جريدته وعلى قلمه، والقريب تنكر له ولعطائه ولجهده ولسبقه، فكان جواب القريب: أن عد يا النذير إلى بلدتك لتعاود صعود السُلّم من جديد حتى تصل إليّ!!.

هذه هي أدبيات المنظمات المغلقة.. أعتقد ولا تنتقد.. مهما تكن قدراتك العلمية فلابد وأن تمر على يدي أولا إن أردت أن ترتقي.. لابد من رضى ورضوان أهل السبق أولا حتى يسطع نجمك في السماء.

لكن الأستاذ النذير رحمه الله تجاوز كل هذا، كل هذه الخرافات وهذا التخلف.. كسّر كل الأصنام التي تعبد وتطلب الرضى من غير الله.. تجاوز الفكرة إلى الفكر فأصبح مثل الصقور الجارحة لا يقبل إلاّ أن يطير في عليين في سماء الحرية والعقل وقضايا الإنسان.

يذكر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله عن علاقته بتنظيم الإخوان أنه لغاية تلك اللحظة لم يكن يعلم سبب تجميد عضويته من تنظيم الإخوان، قال هذا قبل وفاته بسنوات قليلة، وهو المفكر والمبدع والمنظر في قضايا الدين والدنيا، وهو العالم الجليل، وكذلك نفس الأمر

بالنسبة للكثيرين ومنهم الشيخ المتولي الشعراوي رحمه الله.

التنظيمات عموما سواء الدينية أو غير الدينية "تُفرمل" المبدعين والمفكرين، بل تعتبر فضاءات قاتلة ومُضيّعة للوقت، ومصحة للانتظار أكثر منها رواقا للحركة والعمل والنجاح.

التنظيمات والمنظمات الدينية على اختلاف توجهاتها وأدبياتها هي مرافق عدوة للتفكير غير المحدود، عدوة للفكر وللأدب وللفنون، ومن يبقى فيها سيموت حتما من ضيق التنفس، ومن رطوبة المكان ومن جمود التطلعات فيها، ومن تسمم أجوائها.

ولهذا يهرب منها المبدعون والمفكرون والأدباء، لأن أدبياتها وقوانينها تسجنهم في قفص صغير حتى الموت.. الضعيف فقط من يقبل بشروطها، والجاهل فقط من يضحي بعقله وفكره وتجاربه في الحياة من أجلها.. يساق في أسواقها كما تساق الشياه.

عندما تحرر النذير مصمودي رحمه الله من عقدة الفكرة التي يتباهى بها الكثير أصبح عندها مبدعا، كتب في الحب وعن الوطن، وتحدث عن الدين وعن السياسة بطريقة مختلفة.. لا يخاف إذا كتب، وإذا كتب لم يخف أصبح يفكر بصوت عال.. تطرق إلى مواضيع لم تتحدث فيها الحركة الإسلامية من قبل.

إلى الذين قالوا ذات يوم للنذير رحمه الله، عُد إلى بلدتك لتعاود الإلتزام من هناك أقول: لقد نسيتم أو أنكم تناسيتم بأن النذير مصمودي كان مرشحا لرئاسة حركة حماس في ذلك الوقت مع زعيمها الشيخ محفوظ رحمه الله في مؤتمرها الأول!!.

إن مشكلة التنظيمات والمنظمات أنها تفتقد إلى القدرة على احتواء أي طاقة فكرية أو سياسية تريد أن تنظم إليها، أنا متأكد بأنه لو تطلب أي شخصية سياسية مشهورة الانضمام إلى حزب إسلامي في الجزائر ينتمي إلى تنظيم عالمي فلن يقدروا على احتوائها ووضعها في المكان الذي يليق بها، لأن أدبيات هذا التنظيم هي أدبيات بالية لا تصلح إلاّ في الثكنات العسكرية وللأنظمة الشمولية.. رحمة الله عليك يا أستاذ النذير، كنت محقا يوم طلّقت الفكرة واحتضنت الفكر، ولهذا كان كتابك: متى يدخل الإسلاميون في الإسلام من أحسن ما كتبت.

لنكن أفضل من أنفسنا

إن تصريحات المسؤولين الجزائريين المتوالية والمتكررة بأن الجزائر أفضل من دول غربية أوروبية وأمريكية، هي تصريحات غير مسؤولة، تدفع للضحك والسخرية، ولا يمكن اعتبارها إلاّ نوعا من الترفيه، يتغلب بها الجزائريون على الفراغ القاتل الذي يعيشونه يوميا.

وهذا النوع من الطرح السياسي، قد يبدو للمسؤولين أنه مفيد لهم من أجل التقرب أكثر إلى أصحاب القرار من أجل ترقيتهم أو إبقائهم في مناصبهم، إلاّ أنه في حقيقة الأمر، يخلق عدم الثقة بين المواطن والمسؤول، يزيد في عدم مصداقية هذه السلطة، ويؤكد بما لا يدعو مجالا للشك، أنها لا تريد خدمة المواطن والوطن إلاّ بالكلام وبتصريحات بالية، لا يصدقها حتى عقل طفل صغير.

لست هنا في مقام أن أظهر أو أدافع على ما حققه الغرب لشعوبه، لأن هذا الأمر يحزنني كثيرا كجزائري أقيم في دولة مسّها هذا النوع من الهراء، لكن يحق لي أن أؤكد على أننا بعيدون كل البعد، ومتأخرون ومتخلفون في جميع المجالات، ولا يحق أبدا للمسؤول الجزائري أن يتلاعب بالكلام وبالتصريحات، فالأرقام والإحصاءات والاطلاع على البيانات يمكن معرفتها عن طريق أي هاتف ذكي مرتبط بالشبكة العنكبوتية حتى ولو كان ثمنه بخسا.

إننا كشعب وسلطة ليس من مهامنا في الوقت الحالي أن نكون أحسن من دول غربية كأمريكا والسويد وفرنسا.. بل يكفينا فقط أن ننافس أنفسنا، أن نصبح أفضل من أنفسنا، أن يكون يومنا أحسن حال من أمسنا، أن نتطور باستمرار، وأول تطور أن نتوقف عن مثل هذا الهراء والتصريحات غير المسؤولة.

لهذا السبب نجح الأوائل

إنّ الدارس للحياة العلمية في بلاد الأندلس يجد بأنها كانت في حقيقة الأمر وكما شهد لها المؤرخون الغربيون أنفسهم، فترة عظيمة، غنية بالإنتاجات الفكرية والعلمية والفلسفية والأدبية والفنية، أفادت الإنسانية جمعاء لكن للأسف، الإفادة الكبرى عادت إلى العالم الغربي، أو كما يسميهم بعضنا بالعالم الكافر.

وإذا بحثنا عن سبب هذا النجاح الباهر للعلماء المسلمين في تلك الفترة، نجد هناك عاملين أساسيين على الأقل في اعتقادي الشخصي، العامل الأول وهو رغبة هؤلاء العلماء في طلب العلم وفِي التعلم والتضحيات الجسام التي قدموها في سبيل ذلك، وقد أبلوا من أجل ذلك بلاء حسنا، هاجروا أوطانهم وعائلاتهم من أجل ذلك.

أمّا العامل الثاني فهو حب حُكّام تلك الفترة للعلم والتعلم، وبالتالي للعلماء والتقرب منهم بطريقة أو أخرى وتشجيعهم على البحوث والاكتشافات الجديدة، طبعا إلاّ في بعض الاستثناءات القليلة جدا، وذلك لسبب من الأسباب.

لقد استفاد الغرب من هذه الفترة الرائعة والجليلة من تاريخنا الإسلامي استفادة عظيمة، كانت بمثابة الانطلاقة الحقيقية لنهضته، وحسب رأيي فإن الفائدة

الكبرى التي حافظ عليها الغرب وزالت من عندنا للأسف هو حفاظه على نفس العاملين اللذان كانا سبب تقدم المسلمين، اجتهاد العلماء وحب الحكام للعلم، فعندنا لم يبقَ لنا إلاّ عامل واحد، وهو حب العلماء للعلم والتضحية من أجله، أما العامل الثاني فلا يزال بعيد المنال على الأقل عند الحكام العرب.

سننجح يوما حتما، نتقدم ونزدهر في جميع المجالات لكن قبل هذا، لابد من تنصيب المسؤول المناسب الذي لا يخاف نجاحات الغير، يسعى ويخطط ويشجع ويدفع بنا وبالعلماء للعمل وللنجاح.

ماذا أكتب وماذا أفعل؟

أصبح واضحا وجليا أكثر من أي وقت مضى بأن الكل متكامل، لا يمكن لبنية من البنى المكونة للمجتمع أن تنطلق لوحدها في مسار النجاح والتقدم دون البنى الأخرى، أو بعبارة أوضح، مع تراجع أو تخلف ما يكملها ويدعمها على النجاح من بقية البنى، لأن النجاح وحدة أساسية تشكلها مجموعة من العوامل والمعطيات.

استيقظت هذا الصباح وطرحت سؤالا على نفسي ربما لم أطرحه منذ سنوات عديدة، يشبه ذلك السؤال الذي يطرحه معظم الشباب الجزائري كل يوم على نفسه؛ ماذا أنا فاعل اليوم..؟، لكن سؤالي كان بشكل مختلف تماما، ربما يطرحه بعض الكتاب المبتدئين مثلي؛ ماذا أكتب اليوم..؟.!

حقا هي كارثة، وشعور بالفشل والهزيمة، فلا شيء أصبح يشجع على الكلام ولا على الكتابة.. لأننا بكل بساطة استنفذنا كل طاقتنا وكل ما نريد قوله وكتابته قلنا وكتبنا وأعدنا القول والكتابة لكن دون جدوى للأسف..!!

والحمد لله أن الإشكالية واضحة أمامي، وأشعر بها ولهذا أَجد رغم هذا اليأس والقنوط المنتشران في كل مكان ما أكتبه، ولي شحنة ربانية تتجدد كل مرة، كلما أحمل بيدي القلم لأكتب، لأنني أمارس الكتابة من أجل

التغيير وليس من أجل شيء آخر، من أجل أن أساهم حتى نصبح مثلنا مثل المجتمعات والدول المتقدمة.

صعوبة إحداث التغيير بالكلام أو الكتابة تكمن في عدم قدرتنا لحد الآن على تحديد المستوى الذي وصلنا إليه حتى نواصل منه في المرة القادمة، لأن لا شيء يتقدم فكل شيء أصبح يبدو كارثيا، منعدما، بدون أساس ولا هيكل، فلا المدرسة ولا الجامعة تقنعان فيما تقدمان من مردودية، ولا الاقتصاد ولا السياسة ولا الأحزاب بكل تشكيلاتها ولا العمل الجمعوي... الخ كذلك، الكل مصاب بإصابات متفاوتة لكنها إصابات قاتلة إذا لم نستدرك الأمر سريعا.

لا يمكن أن ننجح رياضيا دون اقتصاد وسياسة، ولا يمكن أن ننجح اقتصاديا وسياسيا دون دور هام للمدرسة والجامعة، لا يمكن أن نبدع ثقافيا دون وعي وتربية وتنشئة صحيحة، لا يمكن أن تكون لنا بيئة نظيفة جميلة دون أن نعطي قيمة للإنسان وأن نستثمر فيه، لا يمكن للقلم أن يكتب إبداعات دون أمل وحلم وأن يقدم إضافات دون ثورة حقيقية في الأفكار والمشاعر.

الكل متكامل، لابد لكل بنية من بنى المجتمع أن تتحرك وتؤدي دورها، لابد لكل واحد منا أن يؤدي دوره أن نعمل بشكل متوازي، وأن نضع لذلك خططا وبرامج

هذا الذي نسميه بالسياسة، أن ننتهج سياسة حكيمة وأن يحكمنا سياسيون حكماء نزهاء.

ربما استطعت أن أجيب عن سؤالي: ماذا أكتب اليوم؟، وكتبت شيئا، لكن متأكد بأن هناك مئات الآلاف من الشباب الجزائري لم يجب بعد عن سؤاله اليومي: ماذا أنا فاعل اليوم؟، فمن يجب هؤلاء الشباب؟!!.

مآسينا صناعة أيادينا

ربما كتبت في مثل هذه المواضيع الكثير من المقالات ومهما تختلف الحوادث فإنه في اعتقادي الشخصي السبب الرئيسي دائما يعود للإنسان، فالإنسان هو من يصنع أفراحه وأتراحه.

أؤمن إيماناً جازما بأنه من يرمي على سبيل المثال ورقة أوساخ في مكان ما، فبسبب هذه الورقة يمكن أن يحدث ذوبان قطعة ثلج كبيرة في منطقة أخرى من العالم، مما يؤدي إلى غرق قرى ومدن وتغير بيئي كبير، لأن الأشياء تتفاعل فيما بينها سلبا أو إيجابا، ولهذا يقول المولى سبحانه وتعالى: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.

حادثة الموت ثمانية أطفال في مستشفى وادي سوف حرقا مؤلمة وعظيمة على كل أب وأم في كل أنحاء الجزائر وقيل بأن سبب هذه الحادثة هو شرارة كهربائية، ولهذا سوف أعطي مثالا واقعيا وسأترك للقارئ الكريم التمعن والتفكر، واخترت هذا المثال حتى نقيس بعد ذلك وندرك خطورة العالم الذي نعيش، وأقصد هنا بالعالم الجزائر.

هل يعلم المواطن بأن معظم السلع الكهربائية والإلكترونية التي تباع في الأسواق مقلدة وخطيرة على حياة الإنسان؟.!

ذلك المستورد صاحب المال والشركات الذي يذهب إلى الصين ويشتري الآلاف من الهواتف المقلدة أو شواحن للهواتف مقلدة ثم يبيعها ويشتريها المواطن بأسعار بخسة يمكن أن تتسبب في حريق مهول في البيت؟ خاصة ونحن نعلم بأن في الجزائر معظم من يمرر الخيوط الكهربائية أشخاص غير متخصصين وعندما أقول متخصصين أقصد بمواصفات المتفق عليها في أوروبا.

في الجزائر توجد ربما بطاقة الطبيب والمحامي والصيدلي.. الخ لكن لم نفكر في بطاقة الكهربائي، هذه البطاقة تؤخذ بعد تجربة وعمل وامتحانات، هكذا حتى يتحمل كل شخص نتائج عمله.

هذا مثال واحد، ولننظر في مجالات أخرى وهي عديدة تتعلق مباشرة بحياة المستهلك.

في رأيي، لابد من ثورة كبيرة في هذه المجالات، مراقبة شديدة على كل ما يدخل لنا من سلع، رفع مستوى التكوين مع إعطاء بطاقات تخصص في كل المجالات، حتى لا يترك العمل لكل من هبّ ودبّ، مع وضع قوانين صارمة تحمي الناس من عبث العابثين.

رحمة الله على أطفال مدينة وادي سوف، عظم الله أجر الآباء والأمهات وألهم ذويهم الصبر والسلوان وعوضهم في مصيبتهم هذه خيرا.

ماضينا ومستقبلنا

يقول عالم الاجتماع إميل دوركايم (1858-1917): "إن المستقبل لا يمكن أن يتم تناوله من عدم، إننا لا نستطيع أن نبنيه إلاّ بواسطة أدوات تركها لنا الماضي".

هذه هي الحقيقة التي يجب أن نعيها ونستوعبها ونعمل جاهدين على ترسيخها في عقولها وفِي ممارساتنا، أن المستقبل يُبنى بالعودة إلى الماضي، ليس العودة من أجل تصفية الحسابات، وإنما من أجل أن نتعلم ونستفيد حتى نتذكر ما مرّ علينا من صعاب وما ضاع منا من مجهود ووقت.

وبنظرة سريعة في تاريخنا البعيد والقريب سنكتشف كم نحن ظلمة مع أنفسنا مع وطننا مع الأجيال القادمة بلفتة سريعة إلى ماضينا سنتذكر بأن استقلالنا لم يكن هبة أو عطاء من أحد، وإنما جاء بتضحيات جسام قدمها رجال ليسوا بغرباء عنا وإنما هم آباؤنا وأجدادنا.

التاريخ مُعلِّم، معلم جيد والمستهترون فقط من لا يستفيدون من دروسه. التاريخ يُعلِّم، يعلمنا أن لا نكرر الأخطاء، يعلمنا أسباب الإخفاقات، يعلمنا كيف ننجح كيف نتّحد كيف نضع الأهداف وكيف نحققها.

عندما نتمثل الماضي بين أعيننا، ونستحضر ذلك دائما، ستتغير طريقة تفكيرنا، وتتغير نفسياتنا، ينمو شعورنا بالانتماء وبهويتنا، ندرك الغاية من استيقاظنا صباحا وخروجنا للعمل أو إلى الدراسة، لماذا نمارس السياسة، لما نتدافع في الأفكار والآراء.. الخ، لأن من قبلنا كان لهم طموح واحد وقد حققوه، كان طموحهم الاستقلال، فلماذا لا يكون طموحنا ونحن نفعل كل ذلك غَدٍ أفضل من ماضينا، ومستقبل أزهى من حاضرنا.

إن لنا في تاريخنا عبرا ودروسا، ماضٍ مؤلم.. فهل سنستفيد منه؟.

مسؤوليتنا كبيرة

حال الجزائر عموما لا يفرح، لا يبعث على الأمل، ولا على التفاؤل والافتخار، احتجاجات في كل مكان تقريبا في كل القطاعات، غلاء فاحش، زيادات قياسية، القدرة الشرائية لعموم المواطنين ضعيفة، أثقلت كاهلهم وأرهقت الكبير والصغير، حرمان، بطالة، وتدهور في كل المجالات، والحلول تبدو بعيدة، صعب تحقيقها، هذا إن وجدت، إذا كنا قد فكرنا فيها بكل مسؤولية، أما إن لم يكن الأمر كذلك، فالطامة كبرى، لأن الانزلاق عندها آت بلا ريب ولا شك.

إن الجزائر تمر بمرحلة جد صعبة في تاريخها الحديث، في جميع المجالات، دون استثناء ولا تقزيم لأي واحدة منها، وما قُدم لحد هذه اللحظة من جهود من أجل إعادتها إلى الحالة الطبيعية غير كاف، ولهذا لابد من مضاعفة الجهود والعمل ليل نهار بمسؤولية كبيرة من أجل على الأقل التخفيف من الارتطام العنيف الذي قد يحدث في أي لحظة.

لست هنا من أجل أن أنشر اليأس وأبعث بالتشاؤم في نفوس إخواني وأهلي وأبناء وطني، وإنما هي كلمات وجمل من أجل بعث الهمم، دق ناقوس الخطر، حتى يفيق الغافلون، وينتبه التائهون، ويجدد العهد الغيورون على الوطن، العاشقون لترابه ولكل شبر من أرضه.

لابد أن نسأل ونتساءل، هل قدمنا كل ما نستطيع من أجل المواطن والوطن؟ هل نعي حقا حجم المسؤوليات العظيمة التي علينا اتجاه الوطن؟ أم أننا لم نعد نفكر إلاّ في أنفسنا، في تحقيق مصالحنا الفردية وتركنا مصلحة الوطن تتراجع إلى مراتب متأخرة؟!

قد تبدو الحلول للوهلة الأولى عديمة، صعبة التحقيق كما ذكرنا سلفا، وهو شعور منطقي لكل من يريد أن يبقى خارج دائرة التدافع، يفضل النظر من بعيد، لكنها ممكنة لمن يشارك، من يستشعر خطورة الوضع، من أدرك عظمة المسؤولية، مسؤولية أن يبقى الوطن حرا حضنا دافئا لكل أبنائه.

لابد أن نعمل كأفراد وجماعات، كل من مكانه، حتى ندفع إلى التغيير المنشود، إلى تأسيس قاعدة صلبة، يقف عليها الجميع من أجل بناء وطن قوي، يضمن لأبنائه الأمن والرخاء والتطور والازدهار والعيش الكريم، حتى تكون لنا يد رادعة، تضرب بقوة كل من تسول له نفسه اللعب بمستقبل ووحدة الوطن، تحت أي شعار من الشعارات. إن مسؤوليتنا كبيرة، فهل نحن لها؟!.

معوقات النجاح !!

يعتبر موضوع النجاح بصفة عامة، من المواضيع الأكثر طرحا على مستوى ندوات وملتقيات التنمية البشرية، كما تناولته العديد من الكتب والمقالات الصحفية والمجلات، وكذلك على مستوى المدارس والجامعات والكليات، وعلى مستوى العائلة والأسرة والشخصي، وذلك لأهميته وضرورته، فكل فرد منا يرغب في النجاح، وتحقيق أحلامه وأهدافه في هذه الحياة.

ودون تعقيدات لهذا الموضوع، فالنجاح هو التخطيط الجيد، الاستمرارية والمحاولة، والأهم من كل هذا، هو ممارسة فعل النجاح، حتى لا يبقى مجرد أحلام وأمنيات ومشاعر ورغبات وأقوال.

وأغلبية من تناول هذا الموضوع، نجدهم قد أجمعوا عموما على عناصر النجاح، وعوامل النجاح، وأسباب النجاح، وطرائق النجاح.. لكن نادرا ما نقرأ أو ننتبه إلى معوقات النجاح، والتي شخصيا ألخصها في نقطة واحدة أساسية، تصلح على مستوى الأفراد والجماعات وحتى على مستوى التنظيمات والدول، وهي انتظار أن تتهيأ وتتوفر العوامل الخارجية التي لا نتحكم فيها، حتى نبدأ في تحقيق ما يمكن التحكم فيه.

وقد نبّهنا الله سبحانه وتعالى لهذا السر العظيم عندما قال في محكم تنزيله: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".

فالإصلاح الحقيقي والنجاح الأول يبدأ من النفس من الداخل، وعندما يتحقق ذلك، تأتي ثماره وتأثيره السحري على الخارج، فيجعله في صالحه.

هذه الحقيقة الربانية، لا تخص فردا فقط من الأفراد، ولا مجتمعا خاصا من المجتمعات، ولا تنظيما معينا من التنظيمات، ولا دولة دون غيرها من الدول وإنما هي صالحة للجميع، في كل زمان ومكان، وتسحب على جميع المجالات، الاقتصادية والسياسية والعلمية.. إذن فسر النجاح، هو في تجاوز معوقات النجاح.

من القائد إلى المؤسسة

يكثر الحديث في شهر رمضان عن القائد المُلهم، وذلك بسبب الخوض في مسائل تاريخية، كان فيها لبعض القادة الملهمين الدور الكبير في تحقيق انتصارات مبهرة، ومثال ذلك، القائد صلاح الدين الأيوبي، وما فعله في نهاية المطاف بمعركة حطين عندما استعاد القدس من الصليبيين بعد معارك ومحاولات عديدة.

ومن كثرة حديثنا عن القائد المُلهم، غرس في عقلنا الباطني أو في مخيلتنا، بأنه لا نصر لنا ولا فرج إلاّ بظهور قائد ملهم يتولى أمرنا، يشق لنا طريق النصر والتطور والازدهار، حتى أصبحنا نتمنى أن يكون لنا حاكما مثل هذه الدولة أو تلك -أردوغان في تركيا مثلا-، أو نفرح بعودة حاكم حتى ولو بلغ من الكبر عتيا -مهاتير محمد أو كما يسمى أبو ماليزيا الحديثة- حيث عاد إلى الحكم وهو في سنّ الثانية والتسعون.!!

وهكذا تفكر معظم الجماهير الإسلامية والعربية، بل وبهذا تؤمن، فلا ازدهار ولا تطور ولا تقدم إلاّ بظهور شخصيات مُلهمة تحقق ما عجز عنه الجميع، حيث نلمس هذا التفكير وهذا الإيمان من خلال نصرتهم لقادة أحزابهم، وعند حديثهم عن برامجهم الحزبية السياسية معتقدين بأنه لا نجاح للأمة إلاّ بتولي رؤساء أحزابهم المسؤولية.

والحقيقة في هذا العصر الذي نعيش، لم تعد هناك مكانة للقائد المُلهم، فحتى لو وجدَ فستهزمه عراقيل كثيرة، لأن متطلبات الدولة كبيرة ومتشعبة.

ولهذا فلا حل لنا للخروج من التخلف الذي نعيشه إلاّ بإيماننا بالمؤسسة المُلهمة عِوَض تشبثنا وتطلعنا الذي طال انتظاره للقائد المُلهم.

بلدنا إذا تحدثنا عن الجزائر مثلا- مشاكله كبيرة ومتعددة، تفوق طاقة أي قائد أو حزب أو سلطة، فلا حلّ إلاّ بمؤسسات قوية، تطبق وتحترم القانون، الكل تحته، مؤسسات تسيرها عقول ذكية مُلهمة، تخطط وتستشرف المستقبل، مؤسسات إذا غاب عنها أي فرد تبقى تؤدي عملها بإتقان وعلى دوام الساعة، مؤسسات قوية لا تزول بزوال الرجال، وبأي حال من الأحوال، لأن الرأي فيها للقانون، وللقانون وفقط.

منتدى الطرشان!!

إن نجاح أي حوار خاصة المصيرية منها، يتطلب وعيّا وثقافة، مشاركة عقلية ووجدانية وحسيّة بين المتحاورين، خاصة إذا كان موضوع الحوار هو الوطن وما أدراك ما هو الوطن !!

للأسف الشديد، فحوار الأمل الذي بدأ بين الجزائريين قبل أيام من أجل الخروج من الأزمة التي تكاد تبتلعنا سرعان ما تصدع وبدأ التراشق، وأسباب ذلك عميقة وعديدة، في اعتقادي أهمها، هو أننا أقرب لحوار الطرشان من ثقافة الحوار، ولأن في كل تاريخنا المعاصر لم نحل يوما مشكلة بواسطة حوار شفاف، هادف وجامع

كما أن آباءنا اختلفوا أيام الثورة في العديد من القضايا التي تخص الوطن، وكانت دائما وسيلة الحل هي القوة والتحالفات و"الكولسة"، كانت دائما الجهة التي تملك القوة هي التي تدفع إلى الحل الذي تريد.

وكذلك كانت أزماتنا بعد الاستقلال، لم تكن تحل إلاّ بالتوازنات الجهوية وبالقوة والقرار الوحيد، وبخطط خفافيش الظلام والخفاء، وكان الغائب والمغيّب الأكبر في كل هذا صاحب الأرض، الشعب المسحوق.

ولهذا، فلا أستغرب اليوم إذا ما فشل الحوار وتصدع وتشقق وعاد كل واحد إلى بيته، كما لا أتعجب من عقلية البعض "نلعب أو نحرم"، فهذه ثقافة تشربناها جيلا بعد

جيل، كما لا أستبعد أن من شارك في الحوار وسعى من أجله أن يكون هو نفسه أداة لتحطيمه، بالتخوين وسوء التقدير.. فالسبب واضح ومعلوم، لم نكبر على ثقافة الحوار، قتلتنا العصبية والأنا، والتطرف ضد بعضنا نمارس الإقصاء بكل أنواعه وأشكاله، وفي هذا لا خلاف بين السلطة والمعارضة، فهما سِيَّان.

أقولها بكل صراحة، إن الجيل الحالي الذي يتزعم موائد النقاش والحوار، يفتقد كثيرا إلى هذه الثقافة، ومن سوء حظه أنها ثقافة لا تعطى ولا توهب ولا تُعلّم في الكبر، وإنما تنشئة مضبوطة، ينشأ عليها الطفل في الدول التي تحترم نفسها، يمارسها مع الأسرة وفي المدرسة ويعيشها في مجتمعه وتبنى عليها مؤسسات دولته.. أمّا عندنا، فهي مفقودة في واقعنا وفي الكيانات الموجودة ومنعدمة لدى نشطاء السياسة، القديم منهم والجديد ومن كَبر على الخوف والقمع والحرمان، وعاش التهميش في أبسط حقوق الحياة.. لا أعتقد أن ينجح حوارا.. إلاّ من فكّر وصحح وتعلم.

نتجدد أم نتبدد؟!

منح الإنسان مناسبات عديدة ليقف عندها، يتذكر يجدد العزيمة والعهد، سواء مع نفسه أو مع الآخرين من أجل انطلاقة جديدة ومتجددة في هذه الحياة.

ومن بين هذه المناسبات مناسبة رأس السنة، نهاية عام وبداية عام جديد، أو يوم عيد الميلاد، أو مناسبة دينية ما.. هي فرصة عظيمة للفرد لكي يراجع كل حساباته، حسابات الدنيا والآخرة، أن ينظر ويتساءل ماذا قدّم؟ وماذا أخَّر؟ إلى أين يسير بحياته؟ يعيد ترتيب أولوياته بعزيمة أكبر وإرادة فولاذية، فالحياة ماهي إلاّ تعب وصراع، طموح ورغبات، آلام وآمال.

وكذلك الأمر بالنسبة للجماعات، هي فرصة لهم لينظروا ماذا قدموا للوطن، من أجل ازدهاره، تطويره تقدمه نحو مراتب أحسن، من أجل روح وطنية عالية حفاظا عليه، على حبه وقيمته وهيبته في قلوب الأجيال فالإنجازات الكبرى وحدها فقط من ترفع الرؤوس، تنمي الفخر والتفاخر بالوطن، بحبه، وليس بكثرة الكلام إظهار عكس ما نخفي له، نجعل من الوطن مطية لتحقيق مصالحنا الخاصة والخالصة لنا ولمن حولنا، ثم ننافق ونقول: إننا هنا من أجل خدمة الصالح العام!!.

قلت: إن المناسبات الدنيوية والدينية فرصة عظيمة من أجل تجديد العهد، مع الله سبحانه وتعالى أولا، ومع

أنفسنا ثانيا، بين بعضنا البعض ثالثا، من أجل إتمام رسالة الشهداء، كل حسب قدراته، من مكانه وموقعه من أجل وطن أجمل، وإنجازات أكثر، من أجل هذه الأجيال والأجيال القادمة، فالتاريخ لا يرحم، والوطن أمانة عظيمة، فإما أن نتجدد، نغيّر، نبني وننجح، وإما أن نتبدد، وعندها فلا نلوم إلاّ أنفسنا، أن نتقبل لعنات السابقين واللاحقين إلى يوم الدين. فهل سنتجدد أم سنتبدد، لنا كل الحرية في الاختيار؟!.

هذا ثمن سكوتنا

منظومة الفساد التي أصابت الجزائر كبيرة جدا.. تضرب في الأعماق.. مسّت كل المؤسسات دون استثناء.. وهي ليست وليدة اللحظة.. وإنما تعود لسنوات عديدة.. ولهذا فمسألة معالجتها صعبة جدا.. لكنها غير مستحيلة.. تتطلب الصبر والعزيمة والنيّة الصادقة لكسرها ومعاقبة المتسببين فيها.

لكن السؤال الذي لابد أن يُطرح ونفكر فيه بعمق وبكل صراحة وصدق: أين كنّا كمثقفين وكمجتمع مدني وكمواطنين... عندما كان الفساد ينتشر في جسد الجزائر مثل ما ينتشر مرض السرطان (عافانا الله جميعا) في جسد الإنسان ليفتك به؟! هل كنّا نرى ونتكلم أم كنّا نرى ونسكت؟!!

في الحقيقة إن ما وصلنا إليه اليوم، هو نتيجة حتمية لصَمتِنا وجُبنِنا وخوفنا.. ما وصلنا إليه اليوم، ينّمُ عن أزمة أخلاقية حقيقية.. عن خيانة عظيمة لأنفسنا.. للوطن.. للأجيال القادمة.. لتاريخنا.. ولديننا.

لنكن صرحاء.. لنقولها وليسمعها العالم أجمع: لقد كان الوطن آخر اهتماماتنا، ولو لم يكن الأمر كذلك، لما وصل حالنا لما نحن عليه، خاصة أولئك الذين تقلدوا مسؤوليات في الدولة وكانوا على اطّلاع بما يحدث، آثروا منافع فانية ليسكتوا عن ما نُهب من حق الشعب.

إن الذي ننتظره في الأيام المقبلة، العودة سريعا إلى شرعية المؤسسات، إلى انتخاب رئيس جمهورية بكل شفافية وديمقراطية، ثم البدء سريعا في محاسبة كل من يثبت فساده، وإعادة الأموال المهربة.. ليس هذا فقط، بل ومعاقبة كل من شاهد الفساد بعينه وسكت.

فالسكوت عن المنكر منكر، وهو بداية الإخفاق والسقوط.. ثمنه باهظ جدا، يمس حتى الأجنة في رحم الأمهات.

هل نحن في الطريق الصحيح؟!

ذكرني تعليق لصديقة على الفايس بوك بنظرية تغيير السلوك لعالم النفس كيرت ليفن (1899-1947)، حيث كتبت الصديقة بنوع من الذهول والدهشة وعدم التصديق بأنها غير متأكدة، وغير واثقة من السلوك الإيجابي الذي أظهره الشباب الجزائري في الحراك الذي نعيشه، وأنه من غير الممكن أن يتغير بهذه السرعة، بين عشية وضحاها، وهي كما قالت: قبل الحراك فقط وفي الأيام الأخرى العادية في فترة الحراك، لاحظت بأن ذلك التحضر والرقي والسلمية التي نتغنى بها لا أثر ولا وجود لها!!.

قلت حديثها هذا ذكرني بنظرية تغيير السلوك حسب "ليفين" والتي تقوم على ثلاث مراحل: مرحلة الإذابة مرحلة التغيير، مرحلة التجميد.

والحقيقة ما نعيشه الآن، ليس فقط في مجال السلوك والتفاعل الاجتماعي، بل وحتى على مستوى الممارسة السياسية، نحن مانزال في المرحلة الأولى، مرحلة الإذابة أو التذويب، ولَم نبدأ بعد في مرحلة التغيير، ما نقوم به الآن هو اعتراف غير مباشر بأننا نعيش أزمات لقد أخرجنا مشاكلنا وعقدنا ومكبوتاتنا وتخوفاتنا وهواجسنا واختلافاتنا من المُجمّد النفسي الذي حجزت فيه لردح من الزمن، إلى الهواء الطلق، إلى أشعة الشمس، في وضح

النهار، أمام العيان، لكي نذيبها، ثم نغيّر ما يجب تغييره ثم نعيد تجميدها مرة أخرى، ومن ثَمّ، نتصرف وفق ما توصلنا إليه وما أنجزنا.

وكل هذا يسير بطريقة غير مدركة، غير متحكم فيها فنحن نخضع لقهر عوامل التغيير دون شعور منّا، تجبرنا وتدفعنا للتغيّر، وهو أمر إيجابي، وقد بدأ يظهر هذا حسب رأيي، في جانب مهم جدا سيؤثر بالضرورة على الجوانب الأخرى، وهو الجانب السلوكي.

فخروج المتظاهرين في هذا الحراك بكل أطيافهم وعلى اختلاف توجهاتهم إن لم أقل على اختلاف ثقافاتهم وقبول بعضهم البعض وبذلك الاحترام الذي أظهروه سيعود بالإيجاب على الآداء السياسي، ستقبل المعارضة ببعضها البعض، وستقبل السلطة بالمعارضة، وستصل المعارضة يوما ما للحكم، ويومها ستكتب لنا هذه الأخت وأخوات أخريات بأن لا أحد أصبح يعترض لهن أو يضايقهن وهن في طريقهن للعمل أو الدراسة، وستزول الدهشة والشك ونُصدّق أننا تغيرنا حقا، فقط أن لا نتسرع وأن نفهم أننا لنزال في مرحلة الإذابة أو التذويب وأننا لم نتغير بعد كلية، فهذا يحتاج إلى وقت وعمل وتضحية وصبر، لكننا حتما، نحن في الطريق الصحيح.

وطنٌ واحد.. وعَلم واحد كذلك

الاحتجاج والتنديد والسخط عن الأوضاع القائمة والرفض لها أو المطالبة بتحسينها أو تغييرها أو إلغائها أمر مشروع، وحق من حقوق المواطنة، ما لم يؤدِ ذلك للإخلال بالقانون العام.

كما يعتبر الاحتجاج والتنديد والإضراب والتعبير عن القناعات، فعل حضاري يكفله القانون وتتطلبه طبيعة الحياة الاجتماعية وتوجبه سُنن الله الكونية، كما تقوم عليه كذلك بعض الفلسفات والنظريات الوضعية، مثل النظرية الماركسية الكلاسيكية في الصراع، فالتدافع بين الجماعات والطبقات أو بين جموع المواطنين والسلطة القائمة، بل وحتى بين الأفراد هو عامل بناء وليس عامل هدم كما يعتقد البعض، به تحفظ الحقوق والمصالح وبه ارتقت وتطورت شعوب وأمم، حسّنت من معيشتها وأخذت حقوقها أخذا من الفاسدين والمستهترين والفاشلين من المسيرين، ومن الجشعين من أرباب العمل كذلك.

وفي اعتقادي هذا ما يحدث في معظم أرجاء الجمهورية الجزائرية، فما نسمع أو نقرأ عنه من احتجاجات ماهي إلاّ حالات صحية سببها نقطة من النقاط التي ذكرنا سالفا، فلا خوف علينا من كل ذلك.

لكن أهم شيء يجب أن نتذكره، ونضعه نصب أعيننا ونحن نتدافع نحو التغيير وتحسين الأوضاع بأنه ليس لنا إلاّ وطن واحد، وليس لنا إلاّ عَلَمٌ واحد، عَلَم الجمهورية الجزائرية الديمقراطية، العلم الذي مات وضحى من أجله الآلاف من الشهداء ومثلهم كذلك من المجاهدين، ولهذا فكل من يحمل راية غير راية عَلَم الجزائر في احتجاج من الاحتجاجات، هو مجرم لابد أن يحاسب وأن يعاقب عن فعلته.

فالحذر إذن مطلوب، والفِطنة لابد أن تكون حاضرة لأن أعداء الجزائر كثر، في الخارج كما في الداخل كذلك ومن يريد بِنَا وبأرضنا سوءا عديدون، نعلم منهم القليل ونجهل منهم وعنهم الكثير، يتحركون بنشاط في المياه العكرة، يتظاهرون أمامنا بقلوب، تبدو لنا أنها معنا، لكن حقدهم وأسلحتهم علينا، هدفهم التفريق بيننا ومسعاهم الأخير تمزيق أرضنا. فالحذر الحذر يا أحرار الجزائر.

وعينا يغيرنا

اعتقد كارل ماركس بأن نهاية الرأسمالية المتوحشة ستزول حتما على يدي الطبقة العاملة أو ما اصطلح عليها باسم البروليتاريا، وهو في تفسيره وتحليله هذا اعتمد على التطور عبر التاريخ للطبقات الاجتماعية وما حدث بينها من صراع وتدافع منذ مرحلة العبودية إلى ظهور الرأسمالية مرورا بمرحلة الإقطاع والبورجوازية.

لكن ما حدث في كل مرحلة لم يتحقق في مرحلة الرأسمالية كما توقع ماركس، وذلك لعدة أسباب، ربما من أهمها قدرة النظام الرأسمالي على احتواء الطبقة الكادحة بطرق وأساليب في غاية الذكاء والحنكة والدهاء حتى تبقى وسائل الإنتاج وعلاقات الإنتاج في يد الرأسماليين، حيث خلقوا طبقة الياقات البيضاء وسمحوا للطبقة العاملة على تأسيس نقابات لتدافع عن حقوقها، وحسنوا من الوضع العام للعمال كالزيادات في الأجور لكن دون أن يسمحوا لهم أن يصل بهم الأمر لامتلاك وسائل الإنتاج.

هذا على المستوى المحلي والداخلي، أمّا على المستوى الخارجي والعالمي، فإن الرأسمالية المتوحشة تسيطر على اقتصاديات الدول، وتستغل بطرق مباشرة أو غير مباشرة على مواد الخام فيها، كما أنها خلقت طبقة من البرجوازية -أرباب عمل وساسة- في هذه الدول لكي تُحقق

من خلالهم سياساتها وتفرض قراراتها حتى تبقى هذه الدول فقط سوقا لكل منتوجاتها من علب الشكولاتة وإبر الخياطة إلى التكنولوجيات المتطورة والصناعات الدقيقة والأسلحة الحربية والأقمار الصناعية.

ولهذا، فنحن نخطئ التوقعات ونضيّع الكثير من الوقت والجهد إذا اعتقدنا بأن نهضتنا ستتحقق بسقوط هذا النظام العالمي، للأسباب التي ذكرتها سابقا، فهو نظام متجدد، كل خيوط اللعبة بيده، يملك ميكانيزمات ترويض كل الصعاب، كما أنه يشبه تماما أخطبوط البحر، له في كل جهة وموقع ذراع سام وقاتل.

وإذا أردنا حقا أن نصنع لأنفسنا نهضة أمام كل هذه المستحيلات، فلابد أولا من أن نعتمد على أنفسنا، وأن نؤمن بأن نهضتنا من الداخل ولا ننتظر حدوث معجزة سقوط النظام العالمي، وأن نحسن التخطيط والتفاوض وأن نقدم كفاءاتنا لتتصدر المشهد وتخوض معركة النهضة، ولنا في تركيا وسنغافورا ورواندا وإثيوبيا وغيرهم من الدول القدوة الحسنة.

وماذا بعد سقوط العياش؟!

أولا وقبل كل شيء، رحمة الله على أخونا العياش رحمة واسعة، ورزق أهله وذويه الصبر والسلوان. لقد كانت فاجعة أليمة عشناها جميعا بقلوبنا ومشاعرنا ندعوا الله ونترجاه برحمته أن يُسّهل عملية إخراجه من البئر، حتى تتم عملية الصلاة عليه ودفنه كما أمر بذلك ديننا الحنيف. والمهم بعد كل ما حدث، ماهي الدروس التي يجب أن ننتبه إليها، ونخرج بها بعد هذه الحادثة؟.

في الامتحان النظري من أجل الحصول على رخصة السياقة في السويد، يُطرح من بين الأسئلة سؤال على المترشحين مهم وبشكل دوري: عندما تكون تسوق سيارتك، ورأيت حيوانا يقطع الطريق كيف يكون رد فعلك أو كيف تتعامل مع الموقف؟ الجواب على هذا السؤال هو: أن تتصل بالمصالح المختصة وتخبرهم بذلك وأن تُعيّن المكان الذي رأيت فيه الحيوان بشريط أو راية حمراء. فبذلك أنت تساعد المصالح المعنية بعد مجيئهم وتسهل عليهم نقطة البداية التي ينطلق منها عملهم.

هذا يسمى بالحس الأمني والمدني، وهي تربية مهمة تبدأ من المنزل والروضة والمدرسة، يتعلم فيها الفرد كيف يكون حريصا على أمنه وسلامته وعلى أمن وسلامة الآخرين، يتعلم المواطنون كيف تكون أعينهم وعقولهم متفتحة على كل شيء، حتى لا يقع ما لا يحمد عقباه

يتشاركون في مدينة آمنة، يأمن فيها كبارهم وصغارهم وحتى حيواناتهم.

وبهذا نحن مطالبون اليوم، مطالبون أن نُفعّل مع أطفالنا في كل أطوار التنشئة الاجتماعية، في البيت وفي المدرسة وحتى للكبار كذلك، هذا الحسّ الأمني، أن نُبلّغ عن كل خطر، حتى نساهم في حماية الأشخاص والحيوانات وحتى الأشياء، وندفع السلطات للقيام بدورها في الإصلاح والتهيئة وإتمام الأعمال وكذا تغطية كل الحفر والآبار التي قد يسقط فيها الناس أو المركبات دون انتباه.

التربية الأمنية والحسّ الأمني من أهم التكوينات التي يقوم بها كل فرد هنا في السويد، فقبل البداية في أي وظيفة أو عمل أو بداية فصل دراسي، لابد أن يتعلم الشخص طرق الحماية والوقاية، كيفة تقديم الإسعافات الأولية، كيف التعامل مع الحريق، كيفية استعمال أجهزة الحماية من الحريق، وكيفية التصرف عند سماع صفارة الإنذار.. الخ، كلها دروس لابد أن يمر عليها كل عامل أو موظف أو طالب مهما تكن مكانته العلمية أو العملية.

ربما أراد الله بهذه الحادثة، حادثة سقوط أخونا العياش رحمه الله، أن نُفتّح أعيننا وعقولنا، وأن تَندفع إرادتنا من أجل وطن آمن من كل خطر، بالتعلم والتكوين وتربية أمنية ترافقنا كل حياتنا.

يوم في الحماية المدنية

أضحكني كثيرا صديقي البارحة وهو يروي لي ما حدث له ولزوجته مع ابنهما صاحب الست سنوات.

حيث كانت كل حصة درس سنة أولى ابتدائي في المدرسة التي يذهب إليها هذا الطفل حول خطر الحرائق على الإنسان، والحيوان، والطبيعة، وكانت لهم بهذه المناسبة زيارة إلى مقر الحماية المدنية.

رأوا هناك بأعينهم عن قرب التجهيزات، وتعلموا مخاطر الحرائق وكيفية الوقاية منها، وما العمل أثناء حدوثها، وأمور كثيرة عن هذا الموضوع المهم، كما أن التلاميذ تناولوا في مقر الحماية المدنية وجبة الغداء.

وأثناء عودتهم إلى المدرسة بعد الزوال، وبينما هم منهمكون في شؤونهم في المدرسة، قام المعلمون بتجربة فجائية على التلاميذ، حيث شغّلوا عمدا جهاز استشعار الحرائق، لينظروا كيف يتصرف التلاميذ. وأهم شيء أثناء سماع هذا الإنذار هو ترك كل شيء وعدم التفكير إلاّ في الأبواب الاحتياطية للخروج من المكان، ولو تطلب ذلك أن يكون الطفل عاريا في تلك اللحظة، كجلوسه في المرحاض، أن يترك المكان على الهيئة التي هو عليها دون التفكير في ملابسه أو لعبه.

عاد الطفل في المساء إلى البيت، قَص على والديه كعادته مجريات وأحداث كل اليوم، ثم بعد فترة راحة بدأ

يسأل والديه: لماذا عندنا باب واحد فقط؟ من المفروض لنا بابان حتى إذ سد واحد أثناء الحريق نخرج من الثاني؟ أين هو جهاز إنذار الحريق؟ وأصبح الطفل يبكي لأنه لم يكن هناك جهاز، فمنذ انتهاء البطارية نزعه الأب ليغيرها ثم نسي ذلك وأهمله جانبا حتى ضاع، ولَم يهدأ بال الطفل حتى وعده أبوه بأنه سيشتري غدا جهازا آخر أكثر تطورا.

وعندما حان موعد النوم، استلقى الطفل قليلا ثم قام من فراشه، ذهب إلى والديه في غرفة الجلوس وبدأ يشرح: قبل أن نذهب إلى النوم لابد أن نراقب كل الأجهزة، وبدأ ينظر إلى آلة الطبخ وآلة الغسيل إن كان لا أضواء مشتعلة بهما، ثم جهاز التلفزيون، وكل شيء يشتغل بالكهرباء لابد من مراقبته فإنه قد يكون سببا لحريق.

لم يهدأ بال الطفل ولَم يقدر على الذهاب للنوم حتى اطمأن بنفسه على أن كل البيت مؤمن، وأنه لا يوجد شيء خطر قد يؤدي إلى حريق.

تناقشنا أنا وصديقي بعد أن قَص عليّ قصة ابنه وقلت له: هذه هي التنشئة الاجتماعية والتربية التي لابد أن نغرسها في أطفالنا وفي الأجيال القادمة، الشعور بالمسؤولية، أن نتحدث إليهم على أنهم جزء مهم في حياتنا وفِي المجتمع، أن نشعرهم بأنهم المستقبل، أن نستمع إليهم، نعلمهم ونوجههم، وإذا طالبوا بشيء مهم أو فكرة

مهمة أن نثمن ذلك، هذا إذا أردنا مستقبلا زاهرا لنا ولأطفالنا، فالأطفال إذا كانوا حريصين على جزئيات كهذه، فإنهم سيكونون أحرص على الوطن.

فهرس الموضوعات